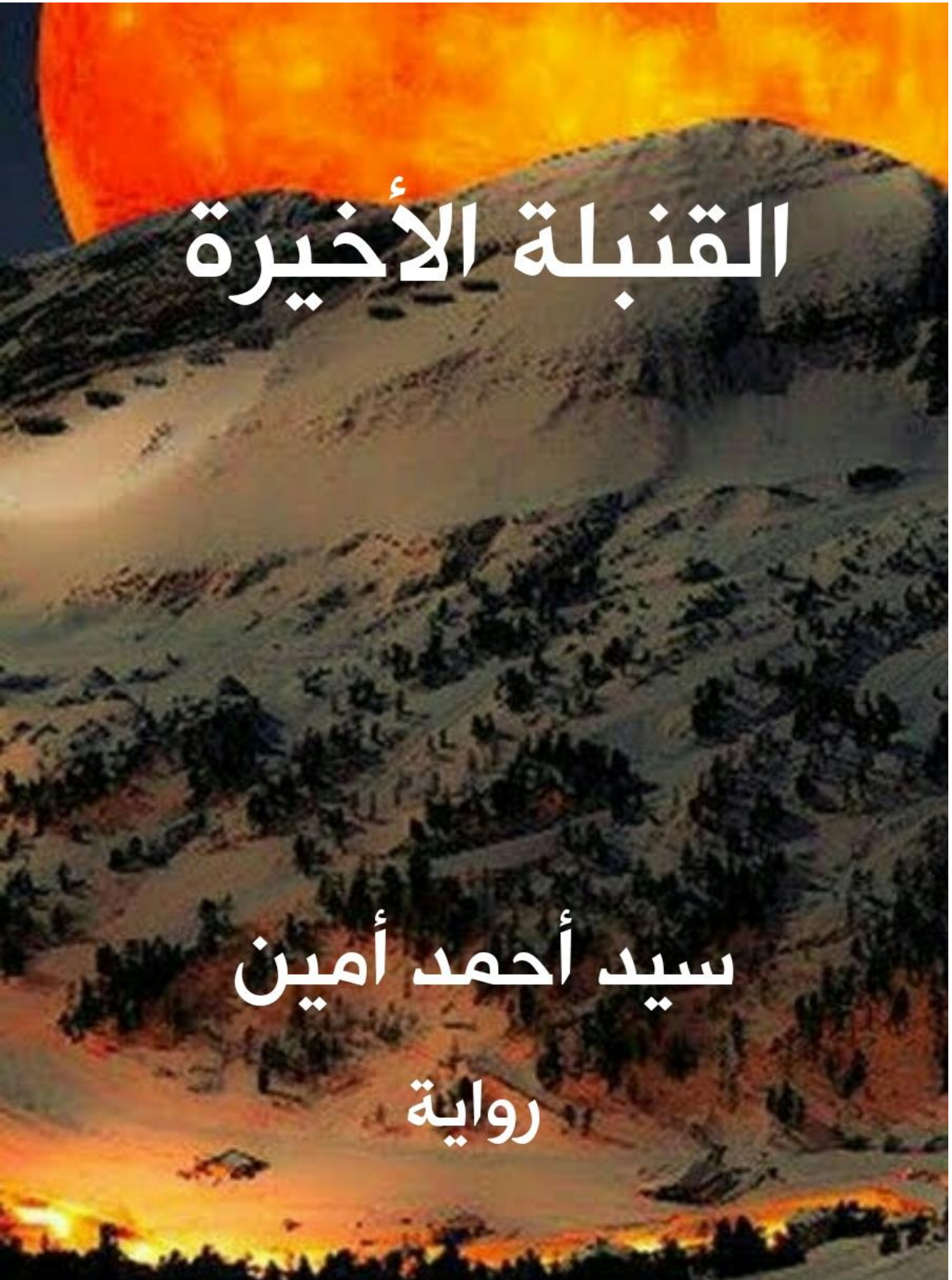
القنبلة الأخيرة
سيد أحمد أمين
رواية

القنبلة الأخيرة

أهداء:

أهدي هذه الرواية لأبي الذي لم ولن يأتي مثله ، ولأمي الغالية التي لا يعوضها أي حنان ولا عطف امرأة.

الفصل الأولى

في هذا الزمن العجيب الذي استشرت فيه المادة حتى طغت على المبادئ والقيم وهدمت بقايا الخير، وأتت على الإنسان فحطمته وحولته إلى "روبت" لا مكان في قلبه سوى المال والرفاهية والنوم والمتعة اللحظية، حتى صار الناس يتصارعون على متر أرض بينما الأرض كثيرة وخاوية في كل مكان، الا ترى يا حامد ما وصلنا إليه من عقوق للآباء وضياع الاوقات والطاقات في غير موضعها؟

فهل نعمى عن حاضرنا الذي صار كطيران الجراد وهم ينتشرون ويتخبطون كالخفافيش؟

لقد تعالت أصوات المادية المشينة بأقذر صورها لتمحو الإنسان وتبيد ما صنعه من وسائل وأدوات صنعها لراحته وسعادته، ولكنه في المقابل صنع الطائرات الحربية التي تدمر وتقتل، وصنع المدفع والدبابة والقنابل المحرمة والخطيرة، والتي ستأتي يوماً ما وتفني من صنعها ومن قام على ذلك فلا تدعو حضارة ولا مدنية ولا ذرة من تقدم إلا أبادتها، ينظر

حامد من النافذة المفتوحة على الشارع وينظر لتلك السيارات الكثيرة والدرجات البخارية وغير ذلك مما جعل من الشوارع طاحونة لا تتوقف وسير لا يسكن، فقال في نفسه:

هب يا حامد أن هذا العالم تغير فلا سيارات ولا حركة مزعجة ولا محركات، وصار الكون بلا كهرباء ولا بترول ولا اتصالات أو أي شيء مما جعل من الحياة متعة ونقمة، فنحن الآن لا نستطيع أن نستغني عن الإضاءة الليلية بالكهرباء ولا أن نتحمل الصيف دون تكييف أو مروحة؛ كما أننا اعتدنا على المواصلات المختلفة؛ وعلى سبل الراحة من مبردات واتصالات سلكية ولاسلكية، وأنا واحد من الناس لا أرى في فقد هذه الأشياء سلامة ولا خيراً.

نظر حامد للسماء وأخذ يهمس لنفسه قائلاً:

سنسير على ضوء القمر وعلى النجوم كما كنا في السابق ونستخدم جذور وسيقان الشجر في الوقود؟

ولما لا، لقد حضرت ذلك في الأمس البعيد عندما كنا ننام على مصباح الجاز الذي كان يخرج دخاناً طوال الليل ولكنه كان ليلاً ساكناً وننام بعد العشاء، فلا سمر ولا سهر أمام

الموبايلات والحاسوب والتلفاز وفي المقاهي والطرقات؛ لقد شاهدت أمي في صغري وهي توفد التنور وتخبز لنا فيه الخبز "والبتاو" وتضع في بطن التنور بقايا الزروع وسيقانها، فتطهي لنا على التنور الصغير الطعام وتخبز لنا الفطائر اللذيذة من يدها، فما أجمل من تلك الأيام عندما كنا صغاراً ونجلس حولها ننتظر الخبز الطازج، والدجاج والأوز الشهي، فتعطينا الكبد والقوانص وكنا نأكل من هذا الطعام ولا نشبع من طعمه اللذيذ وخلوه من الهرمونات والكيماويات وما أضافه الإنسان من لعنة على الطعام والشراب بكل أنواعه، فكان طعامنا الدائم الجبن مع السمن والحليب والفول الذي كنا نتصارع في أكله كأنه لحمة، أما الآن فو الذي نفسي بيده أكاد أتقيأ وأنا آكل الدجاج، وكدت أبغض اللحمة أيضاً، فهل نخشى من الماضي وظلمة لياليه الدامسة؟

التي يخشاها من اعتاد على الرفاهية والعيشة السهلة التي تخلو من المكدرات والمنغصات، أما نحن فما زلنا نحس بالحر والبرد، والجوع والظمأ، وبالحزن والقلق، نعمل تحت لهيب الشمس المحرقة والبرد القارص، ونستدين ونقترض ونمرض ونتعرى، ولا نجد الدواء أحياناً، وربما لقينا حتفنا

داخل منازلنا أو في المستشفيات بحثاً عن مال لتجرى لنا عملية جراحية فلا نجد، ونبكي من الحرمان ومن الضياع ومن السجون والابتعاد والغربة والفقر، فهل سنعود لركوب الخيل والبغال والحمير؟

أم نخشى من السفر والسير على الأرجل والإبل؟

لقد كانت تلك الأيام حلوة في محياها، فكم كنا نجلس نطهي الشاي على النار دون غاز أو جاز أو كهرباء، وكان لذيذاً، وكم كنا أصحاء ونمشي دون عناء أو مرض في العظام يضنينا، وكم كنا نسبح في القنوات والترع والمصارف في أو وقت من ليل أو نهار، وكنا أقوياء، فلقد شاهدت بأم عيني رجلاً يحمل رجلاً على كتفه ويسرع به فوق منزلنا الذي كان عريشته الجريد وسيقان النخل وسيقان الذرة الطويلة وعباد الشمس، فيهرول به ولا يخشى أن يسقط من بين هذه الأشياء الضعيفة، فكم رأيت فيه قوة كبيرة على تحمل السير برجل يحمله على كتفه وهو على أعلى المنازل، ولقد كنا في بلدة بها الشجار الدائم بين عائلتين وكانوا يحملون البنادق ويقتلون بعضاً، وفي يوم من الأيام قتل من إحدى العائلتين أحد فتيانهم والذي قتله يبعد عن البلدة أكثر من ثلاثين كيلو

متر، فلما علم قومه بما حدث لم يستقلون سيارات ولا درجات بخارية ولا غير ذلك، بل أخذوا أسلحتهم وكانوا يزيدون عن ثلاثمائة رجل، فأسرعوا لتلك البلدة على أرجلهم وهرولوا دون توقف حتى وصلوا هناك، فأخذوا القاتل من وسط أهله وبلده ومضوا به بالقرب من بلدهم وقطعوه إرباً؛ فهل نقدر على فعل ذلك الآن؟

مع حرمة ذلك وغض النظر عن كنهه الفعل ولكني أقصد التحمل والجلد والقوة على السير الطويل وغير ذلك من الصعوبات؛ وإني لأذكر أمي وباقي النساء عندما كن يحملن أوانهن فوق رؤوسهن ويذهبن لصنبور المياه البعيد ويجلبن الماء لبيوتهن ويملأن الأواني الفخارية عدة مرات في اليوم؛ ولقد ذهبت مع أمي في الصغر إلى طاحونة للقمح تبعد عنا خمسة كيلو متر، فحملت فوق رأسها ذهاباً وإياباً ما يزيد عن ثلاثين كيلو جرام، وما اشتكت، ولا ولولت كما يفعل نساء اليوم، فترى المرأة الآن لا تخرج من بيتها إلا نزهة أو لتأتي ببعض الطعام والشراب من السوق، وتراها تضجر وتشكو وتصرخ وتقول:

أنا مريضة، أنا أشقى طوال النهار؛ فأنا أرى أن الصحة تدهورت وحل مكانها الانزلاق الغضروفي والسرطان والأمراض الكثيرة التي لم نشكو منها في السابق، والله أعرف شخصاً ما ذهب لطبيب قط ولا أخذ قرص دواء أبداً، لكننا الآن وهنت أبداننا، وهرمت أجسادنا، ودبلت قلوبنا في صدورنا، حتى صرنا كشرنقة في مهب الريح.

يغشى حامد النعاس فينام وهو على المقعد في الشرفة وعلى ضوء القمر فيغازل الهواء روحه، فيصعد بها لعالم الأحلام الوردية، فيرى بعدما غرق في النوم، وبعد تفكيره الذي هام فيه، أنه استيقظ من نومه بعد آذان الفجر، فيرى كأن الأنوار انطفأت كلها ليلاً وسكنت الأرض وعلا صوت الكلاب والقطط والديكة؛ فنظر حامد من النافذة على المنازل، فوجد الظلام يغطي المكان كله، فيبحث عن الهاتف الجوال فقد تركه في شاحن الهاتف حتى يملأ البطارية؛ فيمسك الهاتف المحمول فلا يجد له من صوت ولا إضاءة ولا شبكة للاتصالات سواء للإنترنت أو الاتصال، فيتعجب حامد وينادي على زوجته كريمة :

يا كريمة... يا كريمة، فلا تستيقظ، فيحركها، فتقول له وهي تتحسسه:

ماذا حدث

هل انقطعت الكهرباء؟

فقال لها حامد وقد علا صوته:

أين هاتفك يا كريمة؟

فقالت له كريمة:

هيا أوقد مصباح هاتفك وابحث عنه؛ فقال لها حامد في غضب:

هاتفي لا يعمل، فنادت عليه ابنته فاطمة:

ها هو الهاتف يا أبي كان معي قبل أن أخلد للنوم؛ فيفتحه حامد فلا يجد به شبكة ولا أي شيء يعمل؛ فتعجب حامد وقال لزوجته كريمة:

هناك خطب ما وسنعرفه عند طلوع الشمس، فالساعة الآن الرابعة صباحاً؛ فقالت له كريمة :

لقد أوشك النهار أن يشرق؛ فهيا نصلي الفجر؛ يذهب حامد للحمام ويفتح صنبور المياه فلا يجد ماء، فصاح حامد :

حتى المياه قد قطعت، سأتوضأ من هذه الآنية، فتوضأ حامد وكريمة وبنتهما فاطمة وصلوا الفجر معاً.

يشرق النهار وما زالت الكهرباء مقطوعة والشبكات الهاتفية لا تعمل والصمت يخيم على كل المكان، فلا تلفاز ولا كاسيت ولا مكبرات صوتية ولا أصوات الماكينات، حتى السيارات متوقفة ولا تعمل، فلا حركة للمواصلات المختلفة من سيارات أو قطارات أو كل ما يسير بمشتقات البترول أو الكهرباء.

نزل الناس من منازلهم ليذهبوا للعمل، ولكن لا حراك؛ ووقف كل صاحب سيارة أو موتوسيكل أو جرار أو أي شيء يسير على إطار ليحرك مركبته ولكن دون جدوى.

هبَّ الناس ليعرفوا ماذا حدث؛ ولكن لا مجيب.

سار الناس لعملهم على الأقدام ولم يجدوا خبزاً يأكلونه كالعادة، ولا هذا الطعام المعتاد في الصباح مثل الفول والفطير والبطاطس وغير ذلك، وهذا لأن الوقود الغازي لم يكن ليعمل؛ فعمد الناس لشراء عبوات الشيبسي وغير ذلك من أطعمة

جافة كالبسكويت والشيبسي، حتى نفدت تلك المأكولات من المحلات ولا جديد؛ وتمر الساعات وتنفذ من المخازن والمصانع كل هذه المنتجات، والناس لا تعرف شيئاً؛ فلا يوجد نشرة أخبار ولا مواقع للتواصل الاجتماعي ولا أي شيء يخبر الناس بما حدث وما يدور لقطع الكهرباء وشبكات الاتصال وكل ما يتحرك من ماكينات ووسائل سلكية أو لاسلكية؛ حتى لا خروج لأحد من أي دولة لتعطيل الطائرات والسفن والمواصلات العادية ليكون هناك تواصل بيننا وبين دول أخرى.

هرع كل مسئول ليسأل عن ماذا حدث، وفزعت الحكومات وقادة الجيوش، وأخذوا يراقبون ويسألون :

ما هذا الشلل الذي أصاب الكون، فقد تعطلت المركبات وأبت محطات الكهرباء أن تعمل، فلا حراك لأي آلة في البلاد.

حتى الحقول الزراعية التي تروى بالماكينات وما شابه ذلك فقد اقفرت وجدبت وجف الزرع، وبدأت الناس تبحث عن الخضروات والفاكهة وما يطهونه ويأكلونه فلا يجدون ذلك كما كان؛ حتى ارتفعت أسعار الغلال والخضروات وهذه المأكولات إلى أسعار باهظة، وطهى الناس طعامهم على

جذور الشجر وروث الأنعام في الشوارع والطرقات، وعادوا لركوب الدواب من الحمير والبغال والنوق والجياد؛ وبدأت تعود المراكب الشراعية التي تسير بالرياح ونام الناس في الظلام، فلا وجود لجاز ولا سولار ولا كهرباء ولا مشتقات للبترول؛ فاعتمد الناس على الشمع حتى نفد الشمع؛ وتوقفت مجامع التعليم ومحافل العلم عن العمل؛ فالناس تئن من الجوع والظمأ؛ ولا سيما وأن بعض المنازل بها عدة طوابق ولا يصعد لها الماء إلا بالمحركات والمضخات وما شابه ذلك؛ حتى محطات المياه لا تعمل.

أخذ الناس ينزلون لجلب المياه من الأماكن البعيدة وفي أوانٍ بلاستيكية وغير ذلك على رؤوسهم وفي أيديهم؛ ومن الناس من لا يستطيع ذلك، فاتسخت الأبدان وظمأت الناس حتى انتشرت الأمراض الجلدية والحشرات الصغيرة مثل القمل والبراغيث ؛ وغير ذلك ، حتى نزح الناس بجانب المياه وفي القرى والنجوع وعلى أطراف الترع والقنوات والأنهار.

خرج حامد بزوجته وابنته لمسقط رأسهما في قرية من القرى التابعة لمحافظة الفيوم فمكث هناك في منزلهم القديم حيث وجود بعض الأشجار وبعض مصادر المياه؛ بعدما تعطلت آلة

الحضارة بما جاءت به من صناعة وغير ذلك، فأخرج جواده واستخدمه لقضاء حاجته وأخذ يقضي وقت فراغه مع جواده فيتسابق به مع من في البلدة، حتى إن الناس استخدموا السيف والعصا وغير ذلك من الأسلحة التقليدية للدفاع عن أنفسهم ضد اللصوص وقطاع الطرق الذين انتشروا مع الفوضة وغياب الشرطة.

الفصل الثاني

علم الناس بما حدث وما سبب ذلك عن طريق أناس عبروا البحار من بلد لأخرى حتى وصلوا بلادهم التي يتوفر بها الماء والزرع وسبل الحياة؛ فلا ثروات الآن سوى الزروع والمياه والأنعام والأرض الزراعية وصناعة السلاح البدائي مثل:

السيف والسهام والقوس والحربة والدرع؛ وصناعة الملابس بالأسلوب القديم.

فقد جاء أخو حامد من فرنسا بعدما عاش هناك أكثر من عشر سنوات؛ فقال لحامد ولمن يسمع له من عائلته وجميع الناس في القرية:

لقد قامت تلك الحرب التي كنا نخشاها، فقد اشتعلت شرارتها عندما قامت أمريكا وبعض الدول بشن هجوم على كوريا الشمالية بالطائرات، وقد ألقوا عليها قنابل نووية ومحرمة دولية مما دفع كوريا الشمالية بالرد عليهم من خلال منصات محمية بإطلاق صواريخها الكهرومغناطيسية على كل الدول

المعادية، ودارت الحرب العالمية بين كل الدول، فأطلقت كل دولة صواريخها الكهرومغناطيسية حتى أصيب العالم كله بالشلل الكهربائي، فتعطلت كل آلة ووسيلة تدار بالكهرباء أو بالبترول، لدمار كل حقول البترول؛ ومات ملايين الناس من جراء القنابل النووية؛ فقال أحد الناس لشقيق حامد :

يا أستاذ هاني، ولماذا لم نحس بشيء هنا من ذلك؟

فقال له هاني:

لأننا لم نتعرض لضربات تقتلنا، ولكننا تعرضنا لتلك الصواريخ الكهرومغناطيسية فقط، فانقطع كل شيء في الحياة الحديثة التي كنا نحياها، وأصبحت البشرية كأنها في المهد تحبو من جديد لتشيد وتعمر وتستعيد تلك الحضارة التي قضي عليها؛ والآن علينا بتعريف شعبنا بما حدث عن طريق كتابة الأخبار على بقايا الأوراق المتواجدة لدينا ونشرها في كل المحافظات عن طريق بعض الناس الذين يحسنون ركوب الخيل؛ ونحاول أن نجد الحلول الفعلية البديلة لروي الحقول ولطهي الطعام وبعض الصناعة التي افتقدناها.

ولكن القائمين على أمر البلاد من قادة وحكومة قاموا بنشر كل التفاصيل المهمة أيضاً بمثل هذا الأسلوب ودخلت الشرطة المدن والقرى بخيولهم وبسيوفهم لينشروا الأمن بين الناس؛ فقدم هؤلاء الشرطة البلدة ونزل أحد الضباط وصاح في الناس:

أيها الناس علينا بالهدوء واتباع النظام والطاعة لولي الأمر حتى لا تعم الفوضى كما انتشرت في المدن الأخرى من سرقات، وخطف، وغير ذلك وسنعمل جاهدين على توفير الطاقة والبدائل التي انقطعت عنا، واعلموا أن العالم كله يعاني الآن أكثر منا؛ فما عادت هناك حضارة ولا رقي ولا طائرات ولا مواصلات تنقلنا بسرعة كما اعتدنا على ذلك؛ والعالم كله سيغير على بعضه الآن بسبب المياه والطعام والاحتياجات الأساسية؛ فعلينا بضبط النفس ومن لدية قوة وعزيمة وحب الجهاد فعليه الالتحاق بالجندية لكي نتصدى للغازين من أي مكان ولمحاربة اليهود الذين بدأوا بمناوشات وضرب عناصر لجيشنا على الحدود.

ثم أمر الضابط أحد أتباعه بنشر ما معه من ورقات على الناس ومضى.

أمسك حامد تلك الورقات وأخذ يقرأها، وإذا بها:

لقد قام أحد الرجال في المملكة السعودية ويدعى "محمد المهدي" بتجميع من في الجزيرة العربية كلها من دويلات ودول لتوحيد صف المسلمين ولنشر دين الإسلام كما كان على عهد نبي الإسلام والمسلمين محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، واجتمع معه الناس من كل مكان في الجزيرة العربية ومن جميع دول العالم حتى صار معه جيش كبير وعدة وعتاد لا يستهان به.

وبين صراع أوروبا كلها من أجل أسباب العيش من موارد طبيعية وسبل الحياة التي سيحيون عليها من جديد، فلا مكان للأشياء المجمدة أو المثلجة ولا المعلبة؛ فكل العالم سيعيش على اللحوم الطازجة والثمار اليانعة والطعام الطازج الذي يطهى على نار الحطب وجذور الأشجار؛ فلا مكان للأجهزة الكهربائية ولا للآلة الحديثة التي جعلت المنزل الواحد مقسم ومشتت ولا مكان بين الناس للقراءة ولا الكتابة ولا الحفظ، فقد اعتمدنا على الحاسوب في كل شيء حتى في حفظ الأشياء؛ فهجرنا القرآن وسنة نبي الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وذهبنا نلهث خلف سماع

الغناء ومشاهدة التلفاز والهاتف المحمول والحاسوب وغرقنا في مستنقع العمل الدؤوب لأكثر من اثنى عشر ساعة ما بين ليل ونهار حتى غرقنا في شغل طوال اليوم ما بين عمل ونوم وطعام وشراب؛ حتى صرنا كالآلة الصماء المجردة من المشاعر والأحاسيس حتى هجر الولد أباه، والأخ أخاه، والأب أولاده، وزوجته وضاعت الصداقة والصحبة والمروءة والشهامة والشجاعة بين البشر حتى انتشر قتل النساء والشيوخ والأطفال وهدم المساجد والمعابد والكنائس وأصبح البشر كالذئاب المفترسة والسباع المتوحشة فلا مراعاة لآهات مريض ولا كبر سن ولا لصغير يرضع؛ إنما كل هم البشرية هو الثروات والنفوذ والسيادة .

الفصل الثالث

ذهب حامد وأخوه هاني للانضمام لجيش "محمد المهدي" وتبعه الكثير من الناس لما وجدوا معه العزة والقوة والعدل وعدم الاكتراث بما حدث وبما يحدث في العالم من انهيار حضاري ومدني.

وصل حامد إلى جيش المهدي ومعه المئات من المصريين لمقابلة هذا الجيش وقد زحف بكل قوة لينشر الإسلام الأصيل بكل قيمه ومبادئه وعدله بين الناس؛ فحول العالم العربي لجيش واحد على قلب رجل واحد، لا مطامع لهم ولا هم لهم سوى العزة والنصر للإسلام والمسلمين وتحقيق العدل والقيم والأخلاق بين جميع الناس وقبل ذلك اعلاء كلمة التوحيد لترفرف على كل مكان في الدنيا رغم كل عزيز ورغم كل ذليل بعز يعز الله دينه وبذل يذل الله به الكفر وأهله.

فأصحاب الكفر عاثوا في الديار فساداً وقتلوا واستعبدوا المسلمين في كل مكان؛ فأيام العبودية استشرت وفاح ريحها؛ فأنياب السباع تغوص في لحوم الفريسة الضعيفة ولكن

الأفيال والفهود لا تخشى الهوام؛ فمهما ترى من آفات لن تجد العفن إلا في جسد المرضى الذين رضوا بالدنية والعجز والضعف؛ كأن عالم الذئاب كان في الدنيا وحده؛ فالأشجار تكبر وتنمو على ضفاف النهر الذي يتدفق بالماء فيروي الحقول والنبات الذي ينبت على ضفتي النهر؛ فدمعات اليتامى لا تجف مادام هناك من يقتل أحبابهم؛ وصوت الحق لا يعلوه صوتاً؛ وأبناء الغيب لا يخرجون من فوهة البركان حفاة بل يرتدون أفخر الثياب وأحسنه؛ لا يحق للعقرب الأسود صعود جبل النور لأن سمه يمنعه؛ أما الكلاب الضالة فتعيش بين أنياب الصقيع ورمضاء الصيف؛ لأن لكل كائن ثمناً حيث عاش وترعرع.

فمنظر الخيول التي يمتطيها أتباع المهدي تخيف العدو وتشرح صدر الحبيب والصديق؛ فصورة الجيش المكون من قرابة ثلاثة ملايين من المقاتلين الذين يتغنوا بالقرآن ويتحلون بالصلاة والصيام؛ فما أروع من جنود وهبوا أرواحهم لله، وتركوا عيش النساء في الخدر والحرير؛ فبعد الكرامة والعزة لا عيش ولا حياة كما قال الشاعر عمر أبو ريشة:

في سبيل المجد والأوطان نحيا ونبيد..... .. كلنا ذو همة شماء جبار عنيد

لا تطيق السادة الأحرار أطواق الحديد.... إن عيش الذل والإرهاق أولى بالعبيد

يتقدم جيش محمد المهدي بجيشه الجرار بعدما حصلوا على التدريب الكافي من استعمال للسيف ورمي السهام وركوب الخيل والمبارزة المحترفة والتدريب على اللياقة البدنية، ومعه قائد الجيش عمار الأسدي وهو من الجزيرة العربية وقائد الميمنة خالد الجاسر من سوريا، وقائد الميسرة حامد عبد العزيز وهو من مصر، وفي المؤخرة مازن السعيد وهو من فلسطين؛ فيأمر محمد المهدي قادته بالتحرك نحو الشيعة الذين اجتمعوا في العراق من كل مكان لمحاربة المهدي؛ فقد جاء من لبنان وسوريا وإيران ومن كل دول العالم؛ فكم حاربوا بكل وسيلة عبر الزمان أتباع السنة؛ فكم من قنوات تلفزيونية فتحوها لنشر عقيدتهم التي يعلوها الاسفاف والضعف ومعاداة الصحابة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وتحريف النصوص النبوية وتشريع شعائر وطقوس جديدة ما أنزل الله بها من سلطان من جلد لظهورهم ولطم

على وجوههم وصدورهم واستحلال كل معصية ولو كانت فحشاً وغير ذلك من تقديس قاتلي الخلفاء الراشدين؛ والسعي لهدم الإسلام لأنه دمر دولة الفرس التي ما زالوا يدينون لها وينتمون إليها ويفتخرون بها لا بإسلامهم ولا برسول الإسلام والمسلمين محمد صلى الله عليه وسلم.

رفع المسلمون الرايات التي اتحدت فكانت راية واحدة وهي :

"لا اله الا الله محمد رسول الله" ترفرف فوق هامات الرجال الذين تنبض قلوبهم بالإيمان وطاعة الرحمن والولاء لله ورسوله وفقط، لا لراية جوفاء قد طبع عليها ذالكم الطائر الذي يأكل الجيف ولا لقومية عفنة أو وطنية خالية من الحب والانتماء؛ فلا يوجد كائناً من كان نوالي له ونعادي من أجله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله سبحانه وتعالى؛ فكم تفرقنا وتشرذمنا منذ أن قسمنا إلى دويلات متناحرة بعدما كنا سادة للأمم وبعدما كانت حدود المسلمين من الهند إلى السند ومن المحيط إلى الخليج.

يتقدم المهدي بجيشه نحو الفرس أو ما يسموا بالشيعة؛ وفي الطريق يسأل المهدي حامد عبد العزيز وهو يسير بجانبه:

كيف أخبار مصر؟

هل أهلها مستعدون ليكونوا معنا؟

فقال له حامد:

نعم يا سيدي، فكما تعلم أننا نحب الجهاد ونصرة الدين والحق أينما كان ونحن منذ زمن نطوق للجهاد الذي حرمنا منه منذ عشرات السنين ولا سيما بعدما عدنا للخلف بعد اختفاء الحضارة التي لم يتبقى منها سوى المنازل الشاهقة وبقايا المصانع والمنشئات التي صارت خربة ومعطلة لعدم وجود الطاقة بها.

فقال المهدي وهو يبتسم:

سوف تتغير الدنيا ولن يكون هناك أي ظلم وستخرج الأرض خيرها كما بشرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فنحن يا حامد في آخر الزمان وعلى مقربة من القيامة الآن؛ فسوف يخرج المسيح الدجال عن قريب ونقتله وينزل عيسى بن مريم؛ كما أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها)، ثم قال أبو هريرة :

واقرأوا ان شئتم :

(وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) رواه البخاري ومسلم.

هكذا تتبدل الدنيا فكما عمَّ الظلام والظلم واستشرى في الأرض لسنوات وقرون وعانى الناس من جراء ذلك وتجرعوا آلام ذلك، جاء الوقت لرفع الظلم عن الناس واحقاق الحق بشروطه وابطال الباطل وجذوره إلى الأبد والله معنا ولن يتركنا، فقد ترك من يسبه ويعيب لقرون من الزمن، فهناك من قال عنه أن يده مغلولة وهناك من اتهمه بالفقر، ومنهم من نسب له الولد ومنهم من أشرك معه النار أو البهائم والحشرات والهوام وأعضاء الإنسان والأحجار والأقمار وغير ذلك ممن لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى؛ فمع أن الله خلق للإنسان العقل والقلب وجعله يفكر ويتأمل إلا أنه لم يستخدم عقله ولم يبحث عن الدين الحق والصواب، وهام

على وجه يعبد ثعباناً أو تمثالاً أو بقرة أو إنساناً أو فرج الرجل والمرأة كما يفعل سكان شرق آسيا؛ فهل من العقل أن نترك خالق هذا الكون وما به من شموس عملاقة وأقمار كثيرة والنجوم الضخمة والمجرات التي يعجز العقل عن ادراكها ولا الدخول إليها، ناهيك عن اتساع السماء وحجمها العظيم الذي لم يصل لها العلم إلى الآن ولا لمعرفة طولها ولا عرضها ولا حتى للوصول إليها بأي وسيلة؛ فكيف بمن خلق ذلك كله؛ ألا يستحق العبودية والتوحيد والإيمان به وحده، ولكن الله شاء ذلك، فلو أراد لجعل الناس أمة واحدة ولكنه أراد ترك حرية استعمال العقل والاختيار لذلك ترك للعقل اختيار عقيدته دون إجبار من رب السماء والأرض على ذلك؛ فمن الناس والجن من تبع هداية الله فسار خلف هذا النور فعلم الدين الصواب وورثه لأبنائه وأحفاده؛ والآخر لم يبصر النور بقلبه وتجاهل ذلك لتكبره وعناده، أو لسيره في شهوات النفس، فاتبع الضلال وسار في الدنيا كالأنعام يتخبط في غياهب الكفر والنجاسة حتى ورث ذلك أولاده وزوجته وأحفاده.

الفصل الرابع

تتحول الحياة كسرعة البرق، وتنهمر كل عبرة من مقلة الأيام كسيل العرم، وما يخبئه القدر أكثر مما ترائي لنا، بل إن القادم والمستقبل الكبير بلا حدود، لأن رب السماء والأرض وما بينهما ليس له حدٌ ولا نهاية، أما نهايتنا نحن فإما إلى جنة أو نار؛ ولا ينبغي لنا أن نعمل إلا لهدف واحد وهو:

إرضاء الله سبحانه وتعالى وحبه والتفكير فيه والزود عن دينه وتسبيحه وذكره ليل نهار؛ أما من يسبح في نهر الغفلة ويقفز في جب المعاصي والكفر فليس له مخلص في الدنيا والآخرة، وسيكون طعامه الزقوم وشرابه الحميم ويظل ينادي على خازن النار ولكن لا مغيث، لأنه سيكون قد فات الفوت وحال بينهما النار وحكم في خلقه الجبار بما يستحقونه من عذاب أليم ومهين دون موت أو خروج؛ فهيهات لنفس لم تعرف إلا الأوثان والرجس والمتعة والشهوات أن تتنعم في الجنة في الدنيا أو في الآخرة؛ حتى الدنيا به جنة وسعادة لا يذوقها، ولا يشعر بها ولا يعيشها إلا أصحاب الإيمان السليم

وأولياء رب العالمين ومن ءامنوا بالمرسلين، فالسعادة لا يحسها ولا يحياها إلا من ءامنوا بكل كتبه ورسله وبإفراده وحده بالعبودية وعدم الشرك معه، مهما ملك هؤلاء من مال أو نفوذ أو ثروات، حتى لو أكلوا وشربوا ألذ الطعام والشراب؛ فأصحاب الدين الواضح والصحيح والذي لا تشوبه شائبة من مغالطات ومن طلاسم يعيش في سعادة في الدنيا لا توازيها سعادة حتى لو كان لا يجد سوى ما يقتات به أو كان به من منغصات الحياة، فهو ينعم في الرضا، ويتقلب في طبقات السلام والحب والرحمة والحنان واللين وحب الآخرين وبرد الجمال الروحي الذي يحياه كل يوم، وهذا لا ينطبق على كل من ورث الإسلام عن أبيه، ولكن من طبق كل ما جاء به الإسلام فعلاً وقولاً، أما أصحاب القلوب المريضة ومن فقدوا العلم والمعرفة وحسن التلقي فشأنهم شأن من أوتي معالم الطريق ثم تركه وسار في دروب الجهل والمنافقين يتخبط تخبط العميان وينهل من كل شيطان زائغ كل فضلاته وبصاقه، حتى لا تكاد تفرق بينه وبين من لا دين له، فتراه يسب حتى نفسه، ويفعل كل الموبقات دون وازع أو حياء ولا يبالي بما يفعله ولا يعلم عن دينه شيئاً، فلو مات على تلك الحال فهو

لا شك سيذوق أليم الحساب ويتساوى مع أهل النار حتى يشفع له نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم أو أحد الشهداء أو يخرجه الله بعدما يتجرع نار العذاب.

يتقدم المهدي ومعه قادته ومحبيه وفرسانه وجنوده نحو هؤلاء الشيعة بعدما ساروا بالخيل والإبل عبر الصحراء وفي الرمال مسافة كبيرة وبعد عدة أسابيع يصلون أرض المعركة، فيبعث المهدي ثلاثة من كتيبة الاستطلاع ليعلم عددهم وما يتسلحون به وكيف هم؛ وبعد ساعة يأتيه الثلاثة بالخبر بعدما نزلوا بالقرب من المياه فشربوا وشربت ركوبهم واستعدوا للمعركة، فقالوا له وهم يلهثون من هرولتهم بالخيل :

يا سيدي، إنهم أكثر منا عدداً ولا يتحصنون بأية حصون ويملكون ما نملك من سلاح وخيول وبغال تجر خلفها عربات لا نعلم ما بها.

فنظر المهدي في الجيش وقال:

أيها الناس، يا من خرجتم لنصرة دينكم ولنشر الإسلام بين الناس، لقد دعونا هؤلاء القوم بالحسنى لنكون على منهج واحد وعقيدة واحدة وأن يحبوا ما نحب ويبغضوا ما نبغض،

فأبوا إلا الحرب، فنحن لما أرادوا، وعلى الله توكلنا، ربنا فافتح بيننا وبينهم فتحاً ونجنا من القوم الظالمين، هيا على بركة الله.

نظم المهدي الجيش ،فأمر الرماة بأن يصعدون أعلى نقطة وعلى المؤخرة أن تلتزم بما كلفت به، وانطلق الجيش نحو العدو، والتحم الجيشان ودارت رحى الحرب وانطلق حامد بفرسانه وسط العدو يقتلع رؤوسهم ويفجر قلوبهم وخرج من الميسرة رجل كالبرق وكالليث، يطير على أجساد العدو فيتركها جثة هامدة والمهدي يهتف من قلب المعركة :

الله أكبر، الله أكبر، ويدق الأعناق بسيفه الملقب بسيف السيوف؛ فالمهدي لا تستطيع النظر في عينيه، فبهما هيبة وإجلالاً، وبه قوة عشرة رجال، فتراه ينطلق كالأسد وسط العدو، دون جبن أو رجوع، فيحصد الرقاب حصداً، وبعد ساعة من المعركة تقهقر العدو ودبت فيهم روح الخوف والهلع، فتبعثر الجيش وتعالت أصواتهم بالصريخ من قبل المصابين والنداء من قواد العدو بالتجمع والتقدم، ولكن سيوف جيش المهدي التي خطبت على رقاب العدو، فأدمت قلوبهم وأدخلت الهلع والرعب في قلوبهم السقيمة التي

امتلأت عبر السنين ببغض السيدة عائشة وسبها وببغض أبيها وعمر بن الخطاب وغيرهم ممن دقوا قلاع الفرس وأذلوهم، فما بين ضلوعهم إلا تلك القلوب الخاوية والتي لم تجرأ إلا على جلد أجسادهم النتنه، فسؤر الكلب لا تشرب مكانه الأسود، وأصوات الحشرات لا تزعج إلا من نام بين الركام ورضي بالعراء، فشتان ما بين من عاش كالخنزير يأكل روث نفسه وفضلاته وبين أسد يأكل لحم الغزال، فلا يرضى الشاهين إلا بالصيد السمين ويهرب منه ذالكم الثعلب الماكر حين يراه.

لمح المهدي قائد الفرس أو ما يسموا بالشيعة وهو في خيمة وسط المعركة وحوله عشرات الفرسان؛ فنادى المهدي في فرسانه وقال لهم :

من يأتيني برأس قائد عباد النار "حيدر آباد" ويكون وزيري ومن المقربين، فقال حامد:

أنا لها يا سيدي؛ وينطلق حامد ومعه ثلاثة ممن يحبونه نحو حيدر وهم يحصدون الأرواح حصداً، وينطلقون كالسهم وكالصاروخ نحوه حتى وصلوا إليه، ثم قفز حامد بسيفه على

صدره وبعد دقيقة من المناورة مع حراسه يقطع رقبته ويحملها في يده وهو يصيح :

لقد قتل حيدر يا قوم، فتبعثر أتباعه وفر من فر وسقط الباقي كالعصافير تحت سيوف وسهام ورماح المسلمين، حتى من فر لحقته سهام الرماة فقتلتهم، فعدد الرماة أكثر من خمسة آلاف رامٍ، وبعد لحظات لم يبقى سوى جيش المهدي، والعدو ما بين قتيل وجريح وأسير، أخذ جيش المهدي غنائم العدو ثم جمعوا الشهداء وصلوا عليهم ووصى المهدي من معه من أطباء أن يداووا الجرحى وبعد ساعات ينطلق المهدي بجيشه نحو تلك البلاد فيضع ولاة على تلك البلاد ويترك لهم من يعلمهم الدين السليم والعقيدة الصحيحة بعدما غرقوا في وحل الضلال ومشابهة الكفار في كل الأفعال من بدع وشرك وتكذيب وسفهٍ ومعاداة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته وأصحاب الكتب الصحاح من السنة المطهرة.

وبعد ثلاث ليال قضاها المهدي في بلاد الشيعة أو الفرس يمضي نحو بلاد الروس والشيوعية وانكار الخالق سبحانه وتعالى.

الفصل االرابع

لم تعد روسيا كما كانت بلاد السلاح والقوة الحربية العظيمة ولا الاتحاد المكون من ثماني وأربعون دولة، بل أصبحت روسيا وعاصمتها موسكو وكم مدينة وفقط، أي يسهل هزيمتها ودحرها، فكم حاربت الإسلام والمسلمين من قبل، فمرة مع الشيشان وأخرى مع أفغانستان وقبل ذلك مع الدولة العثمانية لعدة مرات، فهي لا تتجرأ إلا على المسلمين على مر الدهر، ولا تعادي إلا أتباع الإسلام، فهؤلاء الروس أنكروا وجود الله سبحانه وتعالى، فقالوا:

(لا إله والحياة مادة) وقالوا رغم صعودهم الفضاء وبلوغهم أقصى العلوم إلا أنهم قالوا:

هذا الكون خلق صدفة والطبيعة خلقت نفسها وتكونت كل الأشياء من ذاتها على مدى الزمن وأن الإنسان أصله القرد، وأنه أخذ يتطور تدريجياً حتى وصل لما هو عليه الآن؛ فهل بعد هذا من ضلال وسفه وعمى؟

ولكن القلب إذا عمي فلا نور له، فمهما بلغ من العلم مبلغاً كبيراً ولكنه يظل مغلقاً، فلا يفرق بين حق أو باطل، فكما ترى دخان الأوراق الجافة تتبخر وتنتهي في لحظة، لضعفها ولهشاشة خامتها، فلون الهواء لا يعرفه أي أحد من الناس، كما أن صوت الماء يسمع من قريب، فلون الدماء يرى من بعيد.

يتحرك المهدي نحو روسيا بجيشه المغوار الذي يزداد كلما سار من كل بلد في العالم لسماعهم عنه ولأعجابهم به حتى وصل عدد الجيش قرابة خمسة مليون مقاتل، فينصب المهدي في أفغانستان معسكره التدريبي للمقاتلين الجدد ويعسكر فيها ثمانية أيام تجمع فيها مع جيش المهدي الكثير من المجاهدين من أفغانستان وباكستان والهند والشيشان وكشمير كوسوفو والبوسنة وأندونسيا، حتى أصبح جيش المهدي خمسة عشر مليون مقاتلاً، فلم يتحرك حتى أتموا التدريب على كل شيء، ثم سار بهم نحو روسيا، ولكن روسيا لم تكن بمفردها فقد استعدت لذلك بتجميع كل شيوعي من كل مكان، فجاء من الصين ومن اليابان ومن دول شرق آسيا حتى أقاموا اتحاداً كبيراً لمواجهة جيش المهدي.

بعث المهدي من يأتي له بالأخبار وبأنباء القوم، فهؤلاء الروس ومن ولاهم صنعوا حصوناً واتخذوا من بعض الأشياء المتبقية من آثار الحرب والدمار الذي حدث مقاليع وآلات تقذف حجارة، كما استعانوا بالجبال الثلجية في التحصن والاختباء؛ فاجتمع رئيسهم جورباتشوف بنظرائه من الذين يشاركونه الحرب من الصين واليابان وكوريا والفلبين وتايوان وكل من ينتمي للشيوعية، فقال لهم:

يا قوم، إننا على أبواب حرب طاحنة مع المسلمين، فكما سمعتم أن هذا الرجل الملقب بالمهدي تبعه ملايين المقاتلين من المسلمين وهزم تكتل الشيعة ودحرهم عن بكرة أبيهم وترك ولاته في كل الأراضي العربية في آسيا وأفريقيا ودانت له كل هذه البلاد ولم يبقى أمامه سوانا وأوروبا، فعلينا بالصمود والثبات أمامهم، فنحن لسنا كالسابق، فقد مات أكثر من نصف عددنا وضاعت أسلحتنا الحديثة، بعدما كنا نمتلك أخطر وأحدث سلاح وقد هجمت علينا الأمراض جراء الإشعاع النووي والقنابل الهيدروجينية والنيتروجينية التي استخدمناها في الحرب مع أوروبا، فليس لنا أي خيار سوى الحرب، فقال رئيس الصين كوان لي :

لن نستسلم أبداً فعددنا لا يقل عن عشرة ملايين مقاتل، فهيا نستعد لهم بكل سلاح وقوة.

نقل تلك الأخبار للمهدي مبعوثه هناك الملقب بقتيبة الأسدي، فتقدم المهدي بجيشه نحو جيش العدو في ثبات وصبر وإقدام لا يتزعزع؛ وفي الطريق تراهم يصلون جماعات كبيرة ويفعلون شعائر الإسلام مما دفع من يراهم ممن لا ينتمي للإسلام أن يعتنق هذا الدين الحنيف الذي جني عليه من قبل المستشرقين وأعداء الدين من العلمانيين واللبراليين ممن صوروا للغرب والشرق أن الإسلام دين الحرب والدماء، فالقتال في الإسلام لا يأتي إلا بمنع أتباعه من الدعوة لدين الله ونشر الدين الإسلامي في كل بقاع الأرض، وهذا ما أراده الله من المسلمين من لدن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومروراً بالخلفاء ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، فلا يصح أن يكون العالم أغلبه يعيش في الكفر والشرك ونحن نشاهد ونسمع ولا نتحرك، فأين الدعوة إذن وأين تبليغ الدين للناس؟

فما دخل الإسلام شرق آسيا بالسيف أبداً، فلقد أسلموا عن طريق التجار المسلمين وأخلاقهم الحسنة، ولم ندخل الصين بالحرب، بل قبلوا دفع الجزية عن أي حل آخر والكثير من

دول العالم لم تدخل مع المسلمين في حرب أبداً، فلولا أن الرومان والفرس كانوا قد سيطروا على الأرض كلها إما باحتلالها أو فرض الجزية عليها وإذاقة الشعوب الضعيفة أشد العذاب حتى استعبدوا الكثير من الناس ونهبوا ثروات الشعوب كلها، فكان من اللازم تحرير الشعوب من وطأة الرومان والفرس ومن ظلمهم.

الدنيا تغيرت وتبدل حالها، فلا تجد طائرات تطير ولا سفن تسير كالسابق ولا سيارة تتحرك، فالطرق خالية إلا من سير الناس مشاة على أقدامهم أو ركوباً على خيولهم وإبلهم، فقد تلوثت الأرض بالإشعاعات الذرية وامتلأت بالأمراض المستعصية والوبائية، حتى فقدت الأرض أكثر من نصف البشر والحيوانات والطيور وخرجت الهوام والحشرات من مخابئها وتلوثت المياه بأنواع الإشاعات، فتغيرت لون السماء ولم يعد هناك مصانع للدواء ولا للأبحاث كالسابق، فأصبحت الأرض تعيش حالة من الحزن والسقم والمرض والجوع والظمأ في سابقة لم تحدث قبل ذلك، حتى في أيام العصور الأولى وفي العصر الحجري لم تشهد الأرض مثل الذي حدث من دمار وخراب وإسالة الدماء في كل مكان حتى اجتمعت

الميكروبات على الجيف مما ساعد على نشر الأمراض الفتاكة والتي تأتي على الناس فتقتلهم وعلى الزرع فتفسده وعلى الأخضر واليابس فتجعله خراباً.

يتقدم المهدي بجيشه نحو الروس، وقبل دخوله قسم الجيش لأقسام؛ فقسم يذهب من الخلف وقسم يصعد أعلى الجبال وهؤلاء هم الرماة، وقسم يقودون الآلات التي تقذف اللهب التي صنعها له مجموعة من جنوده لما علموا بوجود مجانيق، فصنعوا شبه مدافع يوضع فيها مادة جلبوها من عند الفرس أو ما يسموا بالشيعة ، وقسم آخر كبير وهم الفرسان وقسم يذهب من اليمين وآخر من الشمال وباقي الجيش في المواجهة ومعهم دروع كبيرة مصنوعة من الحديد قد حملوها على حوامل كبيرة وتجرها البغال، فسبقت الأقسام كلها من في المواجهة، وأعطوا إشارة متفق عليها للمهدي بأن كل قسم في مكانه وعلى استعداد لتلبية الأوامر والقتال، فتقدم المهدي بفرسانه ومقاتليه، وقبل الالتحام فوجئ جيش الروس الشيوعي بالضرب يأتيه من كل مكان وقد أبيدت آلياتهم وقتل ثلث الجيش رمياً بالسهام والباقي تحصنوا داخل الحصون والمخابئ، فأمر المهدي بضربهم بالمجانيق حتى

يخرجوا، فلما استمر الضرب عليهم خرجوا في مواجهة جيش المهدي وما هي إلا ساعات حتى قتل كل من خرج ، ثم أمر المهدي بضرب حصار على من لم يخرج ودخل الحصون الكبيرة.

سيطر جيش المهدي على كل البلاد الواقعة فيها القتال واستسلم من في المخابئ بعد حصار دام لعشرة أيام، استخدم فيها جيش المسلمين جميع الأسلحة التي تخرجهم من حصونهم.

الفصل الخامس

تمكن المهدي بمن معه من المسلمين من روسيا وما حولها ونشروا فيها المساجد ودروس العلم وبقي بها والياً اسمه حسام الدين ومعه أكثر من مليون مقاتل ليتولوا أمر هذا البلد وما بقي من أطفال ونساء وشيوخ لهؤلاء القوم، فاستخدموا معهم الرحمة والرأفة مما جعل معظمهم يدين للإسلام والمسلمين.

تحرك الجيش الإسلامي نحو الصين واليابان وكل من والى الروس لفتح بلادهم، وما ان دخل المهدي بجيشه إلا ووجد ساكني هذه البلاد يستقبلونه استقبال المنتصر وبكل إجلال وترحيب، فلم يبقى لديهم من المقاتلين إلا القليل، فعرض عليهم المهدي الإسلام فرحبوا به ودانت كل هذه الدول للمهدي وما ان فعلوا حتى ترك فيهم العلماء والدعاة ومن يقوم على خدمتهم ورعايتهم وعلى أمرهم من خيرة ولاته وأفضلهم، ففي وقت قليل وفي أقل من عام كانت آسيا كلها

وأفريقيا تحت لواء الإسلام وتحت خلافة المهدي، فساد العدل والخير والنماء بين القارتين.

لم يبقى أمام المهدي إلا أوروبا وخاصة روما التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله عبدالله بن عمر بن العاص، عندما أخرج كتاباً وسأل النبي صلى الله عليه وسلم :

أي المدينتين تفتح أولاً رومية أم القسطنطينية؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ستفتح القسطنطينية ثم رومية)

توقف المهدي عن الزحف بضعة أيام لاجتماع الناس معه والانضمام لجيشه، حتى صار معه جيشاً عظيماً ، فتوجه المهدي نحو المسجد الأقصى، وقال:

ما كان لنا أن نكمل فتحنا حتى نستعيد المسجد الأقصى من دنس اليهود ونعيد أرضنا المحتلة، ونرفع الظلم عن الفلسطينيين، فكبر الناس وفرحوا لذلك، فكان على المهدي أن يسلك لهم طريقاً مختصراً حتى يصل لهم، ولكنه لم يجد إلا أن يعود من نفس الطريق مروراً بإيران والعراق ثم دخوله

الأرض المقدسة، فلما عاد المهدي من هذا الطريق طمأن الغرب وظنوا أنه لن يفتح بلادهم، وبمرور المهدي ثانية في هذه الدول اطمأن على أحوالهم وعلى سير الأمور هناك وأقام في كل بلد عدة أيام يستعيد فيها قوة جيشه ويدعم في الناس مدى مقاصد الإسلام السليمة والصحيحة، فرحب الناس بقدومه وانضم له آلاف الناس ثانية حتى كثر جيشه وصار أكثر من خمسين مليوناً من المقاتلين بينما العالم كله بعد الموت والدمار والحرب التي أتت على الغرب فأهلكته لم يعد تعداده يزيد عن مآتي مليون من البشر.

فبعد أن كان سكان الأرض يزيدون عن أربع مليار من البشر أفنتهم المدنية والحضارة والتقدم العلمي والتكنلوجي الذي استخدم خطئاً وعبث البشر بالعلم فبدلاً من استخدامه في النمو بالبشرية والنهوض بها وإسعادها، سعوا في إهلاك أنفسهم وتدمير كل التطور المعماري والتكنلوجي مما جعل الأرض تعود لما كانت عليه، كأنها لم تغن بالأمس.

بعث المهدي لكل الدول العربية أن تخرج كل شبابها ورجالها لتلك الحرب ومن تليها، فالأمر يتطلب ذلك، فاستجابت له كل الدول العربية وأصبح معه اتحاد إفريقي أسيوي ضد أوروبا

ومعهم إسرائيل، وأصبح الناس يهتفون باسم المهدي وعم الخير والنور بين ساكني كل البلاد التي دخلها المهدي وترك فيها ولاته وأتباعه، وأمرهم بإعمار تلك البلاد وتنميتها وبناء ما تم هدمه، فقويت تلك الشعوب وسرى فيهم روح الحياة والحب والإخاء، حتى تكاتف الصغير والكبير والمرأة والصبي، وفتحت المساجد للعلم ولتحفيظ القرآن الكريم وكلام سيد المرسلين وندب الناس للجهاد، حتى بدت بلاد المسلمين في زمن قليل وكأنها في عهد عمر بن الخطاب أو عمر بن عبدالعزيز، هلعت إسرائيل لمعرفتها بمجيء المهدي لها فسارعوا في تشييد الحصون والقلاع والمخابئ ليحتموا بها، وسارع أصحاب الأرض الفلسطينيين بتجهيز كل ما يسهل النصر للمهدي وجيشه ومعرفة كل شيء عن حصونهم ومخابئهم، وبعد أيام يتوجه المهدي بجيشه نحو أرض القدس.

يشير حامد على المهدي بالدخول عبر مصر، فقال له المهدي وهو يبتسم:

ولماذا عبر مصر يا حامد؟

فقال له حامد وهو ينظر للمهدي:

حتى نأخذ من مصر الرجال الشجعان فمصر بها خير جنود الأرض يا سيدي.

فقال المهدي وهو يهز رأسه:

سأفعل يا حامد إن شاء الله

يدخل الجيش من خلال مصر ويمكث فيها ثلاثة أيام، يستعد فيها الجيش ويتأهل كل جندي جديد لا يعرف ركوب الخيل والمبارزة والقتال لذلك، وتلحق بالجيش فتاة في سن العشرين وتنادي على حامد:

يا سيد حامد، يا سيد حامد، فينظر المهدي لحامد وللفتاة التي تقبل بجوادها من ميمنة الجيش وقال له:

من هذه يا حامد؟

فقال له حامد وهو يدقق النظر فيها وهي ما تزال بعيدة عنه:

لا أعرفها يا سيدي.

فاقترت الفتاة من الجيش، وقالت:

أيكم المهدي وأيكم حامد المصري؟

فقال لها حامد وهو يشير للمهدي:

هذا هو السيد المهدي وأنا الفقير إلى الله حامد المصري.

فقالت يا سيدي لقد سمعت الكثير عن بطولاتكم وفتحكم المظفر فأردت اللحاق بكم والالتحاق بجيشكم، فهلاّ قبلتموني معكم؟

فابتسم المهدي وقال:

نحن نقبل كل الأجناس ما داموا يريدون نصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد خفاقة على كل مكان، فقال حامد:

يا سيدي وهل ستتحمل ما نتحمله من صعاب وبأس وقتال؟

فقالت وهي تنظر لحامد:

لقد كنت بطلة في الفروسية وألعاب القوة، وستريك الأيام ذلك عن قريب، فقال لها المهدي وما اسمك أيتها الفتاة؟

فقالت وهي تنظر في عينيه:

إسمي حليمة.

فقال لها المهدي:

هيا ادخلي صفوف المقاتلين يا حليمة وكوني مع من أتوا من النساء يمرضن الجرحى ومع الطبيبات، فقالت حليمة:

سمعاً وطاعة يا سيدي.

وتبتسم حليمة وتسرع بجوادها نحو الصفوف الأخيرة في الجيش وما إن وصل جيش المهدي القاهرة حتى وجد حفاوة واستقبالاً عظيماً من الشيوخ والنساء والغير قادرين على القتال وتقديم الطعام والشراب للجيش والترحيب بالمهدي ومن معه.

قضى المهدي في مصر وقته بين تفقد لآثار الفراعنة والآثار الإسلامية تارة حتى رحل إلى فلسطين، وهناك في طريقه قبل الوصول يجد فئات من الناس معهم خيل ونوق وماشية وعددهم لا يتجاوز الألف رجل، فلما دنى منهم أخذوا يرحبون به ويهتفون باسمه ويهللون، وسمتهم سمت البدو، فقال لهم المهدي:

مرحى يا قوم، ما خطبكم؟

فقال أحدهم وهو شيخ كبير ولحيته بيضاء وقد نزل من على جواده:

لقد انتظرناك على شوق يا سيدي حتى أتيت ونحن نريد الجهاد معك، ونحن أهل سيناء أعلم بما في فلسطين من متاهات وطرق، ومخابئ للصهاينة المحتلين.

فقال المهدي وهو يبتسم وينظر عن يمينه ويساره وفي جنوده وبجواره حامد:

هيا كونوا في مقدمة الجيش وكونوا عوناً لنا في طريقنا، فقال الشيخ الكبير ويدعى صالح الفرجاني:

لقد أتينا لكم بهذه الماشية لتذبحوها وتأكلوها، فلقد عانيتم في سفركم ورحلتكم هذه.

فقال المهدي وهو يضحك:

حسناً أيها الشيخ الكبير سنفعل ولكن على أبواب القدس، بعدما نأخذ أقصانا ونسترد مسجدنا، فوقتها يحق لنا الطعام والشراب ونصلي ونشكر لله رب العالمين.

فقال حامد:

يا سيدي نحن على مشارف فلسطين وهذه هي الأرض المقدسة، فقال له المهدي:

إني أشم رائحة طيبة منذ أن قدمنا أرض سيناء، فهي نعم الأرض الطيبة المقدسة.

الفصل السادس

بعد ساعات يدخل المهدي بجيشه منطقة "غزة" وما أدراك ما غزة، إنها أرض الأبطال ومصنع الرجال، وأرض العزة والكرامة، وأرض الشهداء ورباط أهلها الأحرار منذ الاحتلال، فأهلها صامدون وعلى عهدهم محافظون ولبلدهم محبون، فلم يبيعوا أرضهم وترابهم من أجل حفنة من المال أو خوفاً من الموت، ولم يكونوا يوماً كلاباً للمحتل الصهيوني كما كان غيرهم وكما باع بعض القادة من حكامهم تلك الأرض قطعة، قطعة من أجل السلطة وليلحس نعال سادته من الأمريكان والصهاينة المجرمين، فمن أجل حياة كحياة الكلاب في المستنقعات العفنة عاش بعض القادة هناك، ليأخذوا فتات العيش، ويبعثروا ما تبقى لديهم من كرامة تحت أقدام كبرائهم وحلفائهم الذين دنسوا الأرض المقدسة بنعالهم وشربوا الخمر في المسجد الأقصى بنعالهم، فهل يتساوى من جاهد ورفع السلاح في وجه الصهاينة ومن ركع وسجد تحت أقدامهم، فكم استمتع مثل هؤلاء القادة الأنذال بمشاهدة

إخوانهم في غزة والضفة أو وغير ذلك ممن أذاقهم المحتل الغاشم الصهيوني أشد العذاب.

يستقبل أهل غزة المهدي وجنوده استقبالاً مهيباً، فقد تجمع كل أهل غزة من شبابها ورجالها لينضموا معه وليكونوا معه أينما ذهب في قتاله للصهاينة وأعداء الإسلام في كل مكان، وكان من بينهم الكثير من النساء المقاتلات اللاتي نشئن على الجهاد والقتال ضد الصهاينة اليهود.

توقف المهدي بجيشه وأمر بنصب الخيم لساعة، ثم جلس مع قادته ليتشاوروا سوياً، فجلس المهدي ومعه حامد وقواد الجيش مثل حسام المغربي وصهيل السلامي وأحمد الكيلاني وغيرهم من مساعديه ومستشاريه، فقرروا تقسيم الجيش لأقسام ككتائب، فكتيبة تكون من جانب البحر وكتيبة تدخل الخليل وكتيبة تدخل كل مدينة فلسطينية فتحررها من الصهاينة ويبقى معظم الجيش مع المهدي في قلب دولة المحتل.

آن لعش الدبابير أن يهدم، وآن للأسود بخروجها من قفصها الفولاذي فكم كان حبسها قاسياً، ولكن الدبابير والحشرات دون سمها وذنبها لا تضر، فهي كأوراق جافة تتطاير عبر

الرياح فتفرقها هنا وهناك، وسط الرمال وبين الشجيرات الجافة الهشة، أما النمر الشجاع فلا يخاف من أي شيء ولا يتراجع أبداً مهما كان فريسته أضخم منه، فهو يراها كتلة من لحم يأكله، ولا تساوي عنده أي شيء، فهكذا الرياح لا تخشى المرتفعات ولا التلال والهضاب، فلن تجد طائر البطريق بجانب حوت أبداً، والا فالجنون الجنون والخلل الخلل.

يقتحم جيش المهدي بكل كتائبه أرض فلسطين ويدخل تل أبيب التي صارت حصوناً لليهود، حتى إن أحدهم ليقول:

لو كنا نعلم ما حدث لشيدنا منازلنا عشرات الطوابق وما جعلناها هكذا قصيرة البنيان.

تدخل كل كتيبة ما كلفت به من مدن، فيحيطون بكل مدينة ويسلطون على حصونهم المجانيق فيدقون تلك البلاد دقاً حتى يخرج إليهم الصهاينة يفرون ويصرخون كالفئران المذعورة، فيجدون السيوف والسهام في رقابهم وأجسادهم التي طالما استخدموها في قتل النساء والشيوخ والأطفال وهدم المساجد والمعابد والكنائس وحرق كل نفيس وغال حتى لم يعرف العالم بأشر منهم عبر التاريخ، فهم قتلة الأنبياء وعباد الثور

وأحفاد القردة والخنازير، وغاصبي الأرض والعرض وأصحاب القلوب القاسية التي لا تلين.

تتطهر البلاد من الصهاينة ويبقى أمام المهدي تل أبيب وبعض المدن المحصنة، فتكاثر عليها الجيش حتى انهم حفروا نفقاً للوصول تحت الحصون وبعد أيام من الحصار والضرب بالمجانيق في الصهاينة يخترق الجنود المسلمين قلب الحصن ويدخلون كأنهم الطوفان داخل الحصون ويعملون فيهم القتل حتى قضوا عليهم، وتطهرت الأرض من دنس اليهود ودخل المهدي القدس ومعه قادته وكبار الجنود فصلوا لله شكراً على نعمائه وعلى عودة المسجد الأقصى ثانية للمسلمين، ثم دخله كل الجنود مهللين ومسبحين، حتى إن المهدي وجيشه ظلوا عشرة أيام في فلسطين، فأمن مخارجها ومداخلها وترك فيها أحد ولاته وهو من خيرة أتباعه ويكنى بأبي عباب، وترك معه من الجنود ومن يعينه الكثير، ثم استعد المهدي للذهاب إلى أوروبا.

ولكن أوروبا توحدت كلها في مكان قبل دخول روما وهو ما بين النمسا واليونان ، فجاءت أمريكا بكل ما تبقى لديها من عدد وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وسائر الدول الأوروبية، فهم

يعتقدون أن المسلمين يريدون دخول روما بعد انتصارهم على كل هذه الدول وأخذهم بيت المقدس وأرض فلسطين، ولكن على الجانب الآخر جاءت تركيا بما لديها من رجال وعدة وعتاد وجاءت الجزائر والمغرب وتونس وليبيا ومن كان على الإسلام في أوروبا، فكثر عدد جيش المسلمين وأصبح عددهم يفوق الخمسين مليوناً، فتحرك الجيش المسلم عبر قبرص، وقد أمن الأتراك العبور للمهدي وجيشه، وما إن وصلوا إيطاليا حتى وجدوا الغرب بجيشهم وهم ينتظرون، فتلاحم الجيشان وأسرع جند المسلمين في القتال كأنهم الإعصار وسط أشجار الخروع يقطعها من جذورها، فالرقاب تطير والرؤوس تتدحرج أمامهم، وصوت صهيل الخيل يدوي في أرض المعركة كأن الخيل تشتاق للقتال، وصليل السيوف يخطب كأنغام الموسيقى الكلاسيكية حينما تصدر ذلك الصوت العذب الرنان وهي تخطب على الرقاب فتقطعها وعلى الأجساد فتصرعها، فمن يعشق أرض المعارك وصليل السيوف وصهيل الخيل لا يتخلى عنه أبداً، أما من رضي بالنوم والرقاد والطعام والشراب ومداعبة النساء والأطفال في السرائر والحجر، فيبغض ساحة المعركة ووجوه الرجال.

عدد المسلمين كثير ويفوق عدد هؤلاء، مما دفعهم بالفرار والانسحاب من أمام المسلمين، ولكن المهدي أمر حامد المصري باللحاق بهم ومطاردتهم والقضاء عليهم، فسار حامد في جيش لا يقل عن ثلاثة مليون من المقاتلين، وأما المهدي فدخل روما بجيشه العملاق وكبر وأخذ الجيش كله يكبر ويهلل حتى سقط أحد جانبي المدينة، ثم كبروا ثانية وهللوا حتى سقط الجانب الآخر ودخلوها دون أن يلتحموا مع أهلها، وهذا مصداقاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا :نعم يا رسول الله، قال: لن تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فينزل أحد جانبيها، قال :ثور : لا أعلمه إلا قال : الذي في البحر، ثم يقولوا في الثانية : لا إله إلا الله والله اكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا في الثالثة : لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم

الصريخ :فقال أن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون.)

يدخل المهدي روما دون قتال، ويفعل كما قال النبي صلى الله عليه، فيكبروا ويهللوا فيقع نصفها، ثم يكبروا ويهللوا فيقع النصف الآخر، ولم تغني عنهم حصونهم ولا ما شيدوه من قلاع وحصون ليحتموا بها.

تتبع حامد المصري من فروا من المعركة في السهول والجبال وبين الأطلال بمن معه من مقاتلين، فمكث أكثر من شهر يطاردهم هنا وهناك حتى قضى عليهم ونشر قواته وجنوده داخل بلاد أوروبا، وبأوامر من المهدي جعل والياً على كل بلد وأتاح لهم الدعاة ومن يعلم الناس أمر دينهم، ولا سيما وأن جيش المسلمين لم يعتدي على طفل ولا امرأة ولا شيخ كبير ولا شجر ولا منزل ولم يهتكوا عرضاً ولم يتعرضوا لأحد مُسالمٍ بأذى، كما فعل الصهاينة والمحتل الغربي لما أتى بلادنا، فقتل وخرب ودنس المقدسات وشنق النساء والشيوخ واعتدى على رجال الدين بالتعذيب والتنكيل، فلما رأى الناس في تلك البلاد صورة المسلمين وهم يتمتعون بالعدل والرحمة والسماحة أحبوهم ودخلوا في دين الله أفواجاً.

الفصل السابع

بعد أن دخل المهدي بجيشه العالم كله ونشر العدل والسلام في ربوع الأرض وأرجائها، وبعد دحره للكفر وأهله، ورفع كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) عالية خفاقة في كل مكان، ودخول الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، تفرغ المهدي ومعه المسيح بن مريم لقتال الدجال، بعدما ظهر وفتن الناس واجتمع عليه آلاف الناس ممن خالط النفاق قلوبهم، وحديثي عهدهم بالإسلام، فالقلب إن لم يقوى بالإيمان وبسبل التقوى من قرآن وصلاة، وذكر، وترك للمعاصي والذنوب، غرق في وحل الكفر والشرك والنفاق، فصار القلب مجخياً لا ينكر منكراً، ولا يعرف معروفاً كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم،

(فعن حذيفة قال :

كنا عند عمر بن الخطاب ، فقال:

أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟

قال حذيفة:

فسكت القوم؛ فقلت:

أنا، فقال أنت لله أبوك؛ قال حذيفة:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

تعرض الفتن كالحصير عوداً.. عوداً ،فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً ، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.)

هكذا إذا اختلط على القلب أمر الدنيا وما بها من فتن ولهو ونساء، وما يرضي الشيطان والنفس والهوى، مالت النفس لما تحبه من متعة سريعة، ولذة لا أساس لها، فلما شاهد الناس ما يملكه الدجال من جنة مقلوبة ونار مغلوطة وسحر للعيون، وخرق للعادة في أعين مريضة وقلب غافل ضعيف لا يفعمه الإيمان، ولا يعلم عن دينه شيئاً، فمثل هؤلاء يسهل

خداعهم واللعب على عقولهم، لأن الجاهل الذي لم يتعلم دينه، ولم يتعرف على مبادئ دينه، وكتاب ربه، فهذا الجاهل يقع في شراك من هو أضعف من الدجال، فكم لعب الإعلام المغلوط بعقول الناس، وصوروا لهم الحق باطل والباطل حق، حتى إنك لترى الرجل الجاهل الذي يقتل ويخرب ويهدم ولا يعمر ويبيد قومه يهتف له الكثير من الناس، ويتغنون باسمه ويطبلون له ويرقصون ويتمايلون له، وترى الآلة الإعلامية الخربة، تظهر للجهال خلاف الواقع، فتجد الرجل يموت جوعاً ولا يجد ما يسد رمقه ويركع لحاكمه الظالم، ويبتسم لرؤيته، بل ربما دافع عنه بكل قواه، ولا عجب من ذلك، فأكثر من في الأرض ليسوا مؤمنين، ولا يعترفون بوحدانية الله سبحانه وتعالى، كما قال الله سبحانه وتعالى :

(وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله...الآية)

فمن السهل خداع تلك العقول التي تشبه عقول الأنعام، لا لأنها لا تفكر، بل لأن المعاصي والكفر طبع عليها، فلم تعد تعمل كما خلقها الله، فهكذا قال ربنا سبحانه وتعالى :

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل أضل أولئك هم الغافلون.) فهؤلاء لهم الأعين والآذان والقلوب ولكنها تشبه حواس البهائم، بل إننا لنظلم البهائم، لأن البهائم ليس لها عقل تزن به الأمور وتستنبط ما ينفعها من ثقافات ودين وعمل صالح.

(فمن أجل ذلك كان الإنسان الذي يكبح شهوته، ويتغلب على نفسه ويختار الطريق السليم الصحيح أفضل من الملائكة، لأن الملائكة ليس لهم شهوة تبعدهم عن حظيرة ربهم، بل جبلوا على الطاعة جبلاً، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، كما قال ربنا سبحانه وتعالى، أما الإنسان الذي طغت شهوته على عقله صار كالأنعام بل أضل، لأن البهيم خلق بدون عقل وتغلب عليه شهوته... بن القيم بن الجوزية.

خرج الآلاف مع الدجال لنصرته، فمن اختار الجنة أدخله النار، ومن اختار النار أدخله جنته، وأعمل القتل في مخالفيه هو وأتباعه، فها هو يأتي على رجل، فيقول له:

أنا قادرٌ على إحياء من مات من أبويك، فيقول له هذا الرجل:

ها فقد مات أبي، فأحيه لي، فيخيل له أنه أحياه، ويقتل رجلاً ويخيل للناس أنه أحياه، فيركع له كل سفيه، وتافه، وضعيف الإيمان، ويقف عند المدينة المنورة ومكة ولا يستطع دخولهما، فيخرج له كل فاسق ومنافق وعاص، ويظل المهدي في صراع مع من ارتدوا وضلوا حتى زحف الدجال بمن معه نحو أرض فلسطين بمسجدها الأقصى، وكأن هذه الأرض المقدسة يأتي لها كل خائن وكافر ليدنسها، فها هو الدجال قد كتب بين عينيه كافر، ويقرأها كل الناس، ولكن مثل هؤلاء لا يبصرون الحق حتى ولو كان في وضح النهار، فالهدى بيد الله، فهو سبحانه وتعالى أراد ذلك، فلو شاء لهدى الناس جميعاً، ولكنه يمحص أهل الخير من أهل الشر، ويختار أوليائه ومن سيجاوره في جنانه.

فالعفن من الأشياء ريحها يجلب الذباب والكلاب وكل الفطريات، ولكن طيب الأشياء لا يقربه إلا كل طيب وخير، فمنازل القمر لا يبلغها ذلك الثعبان الذي يزحف على بطنه،

وأشباه الرجال لا يجاورون الفرسان في ساحة الوغى، بل مكانهم تحت أرجل النساء المومسات، والبلد التي تخرج أولادها منها يحق لها الخراب ولا تستحق من قاطنيها السلام،

لا تغني فوق أرض المعتدين حتى لا تكون كبش فداء لكل جبان.

يذهب الدجال لأرض القدس ليكمل نشر كفره وإضلال الناس، ولكن الله دائماً يوظف من يدافع عن دينه وعن من ءامن به، فيأتي له المهدي وعيسى بن مريم، وجيش المسلمين الأتقياء، وتدور رحى الحرب بين الفريقين، فريق الإيمان وفريق الكفر، ويندفع فريق الحق بكل قوة وبسالة في أغوار فريق الباطل، فيأتون على الأعناق فيجتزونها، وعلى القلوب فينخرونها بالسيوف والسهام والرماح، ويندحرون، ويهوون أتباع الدجال، صرعى كالفئران، وتتعالى الأصوات بالتكبير والتهليل فترى الدجال يصرخ كالشيطان في أتابعه :

هيا قاتلوا، لا تفروا، هيا اثبتوا، ولكنهم كالورق لا يثبتون أمام الرياح العاتية، وأمام سيل الموج المتدفق العارم، فيُقتلُ جل جيشه ويفر آخرون ويجرح بعضهم ويظهر الدجال أمام المسيح والمهدي كشيطان لعين أعور العين، وجهه كحيوان تردى من أعلى سفح لتخفى معالم وجهه، وينظر الدجال في وجه المهدي والمسيح ويهم بالفرار، وكل جيش الحق يريد قتله، وكل القادة يقولون:

أنا له.. أنا له ،ولكن المسيح عيسى بن مريم يجري خلفه بجواده وبعد لحظات يقترب منه وينزع المسيح حربته ويضرب بها الدجال فيهوى صريعاً على الأرض، ليموت كما مات فرعون والنمرود وغيرهم ممن ادعوا الألوهية والربوبية من دون الله، فنهاية كل ظالم قريبة منه ولكنه لا يبصر تلك النهاية بعينيه المغمضتين، ومهما طالت أيام الظالم، فلابد من أن يذوق طعم ما أذاقه لغيره من مرارة وسم زعاف، فالله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فليل المظلوم كبير وطويل، ولكن الظالم لا يحس بما يعانيه المظلوم من عبرات ينزفها وآهات يخرجها، ولكن الله لا يدع الظالم بظلمه حتى يذقه أليم عقابه وعاقبة طغيانه.

الفصل االثامن

يقتل الدجال على يد المسيح بن مريم، ويعرف الناس دينهم الحق ويتبعون المسيح عيسى بن مريم والمهدي، وقد كثر الخير وعظمت الثمار، حتى صارت الرمانة الواحدة يستظل في قحفها الجمع من الرجال، ولكن الحياة لا تستقر على حال، فبعد السعادة يأتي الشقاء، وبعد الفرح يأتي البكاء، لا يطيب عيشها ولا يدوم سرورها، مليئة بالأحزان والشقاء والحرمان، والمرض والخوف والجوع والهلع والظلم والفقر وليس فيها جنة دائمة السعادة، لأنها دنيا وليست جنة، فشمسها نعمة ونقمة، وليلها سكينة وظلمة، وقمرها ضياء ولعنة، ونعيمها بؤس ومعاناة، وظلها لا يسكن للعراة، وتتبدل كل ساعة من حال إلى حال، فالأحمق من ظنها عيشه الدائم، والجاهل من شيد على ظهرها داره وأرسى دعائم حياته فيها.

يبعث الله تلك الكائنات المفترسة التي لا تبقي على ماء ولا ثمار ولا زرع إلا شربته وأكلته، هؤلاء هم يأجوج ومأجوج، لقد أذن لهم بالخروج من مكمنهم، فيخرجون على الناس

فيأكلونهم ويأتون على الأنهار فيشربونها، وعلى الزروع والثمار فيأكلونها، وينتشرون في كل الأرض، ويهرب الناس منهم ما بين خائف ومذعور، فقد أتوا على الأطفال والنساء فأكلوا لحومهم وطاردوا من فر من الرجال، حتى صارت الأرض خربة وخاوية من الناس والبهائم وصور الحياة، فأوحى الله لنبيه عيسى والمهدي أن يحتموا بجبل الطور، فيجتمع أتباع المهدي وعيسى عليه السلام في هذا المكان المقدس، وبينما يأجوج ومأجوج يهرولون في الأرض ويسعون فساداً بين قتل وذبح وخراب ودمار، فيبعث الله "النهم" عليهم فيهلكهم الله عن بكرة أبيهم، فيكونون مثل بقايا أشلاء على سطح الأرض، فتفيح نتن جيفهم، حتى يرسل الله المطر فيغسل الأرض من نتنهم وجيفهم.

تتبدل حال الدنيا فبعد وجود عيسى والمهدي، يشيع الناس المسيح ثم المهدي إلى مثواهم الأخير بين بكاء للناس عليهم وحزن ملأ قلوب المؤمنين لأيام كثيرة، وتأتي آيات الله تترا، ويزداد انتقاص الأرض وتغير مناخها حتى ازداد دوران الشمس ودوران الأرض مما جعل الصيف يكون شديد الحرارة وتكون درجة الحرارة فوق السبعين درجة مؤية،

فيختبئ الناس في أماكن الظل والتهوية، ولكن نسبة الرطوبة تزداد، فيموت الكثير من الناس، وتشتد البرودة والصقيع حتى تكون درجة الحرارة عشرين تحت الصفر، فيكثر الموت وتقل فرص الحياة، حتى إنك لترى قارة أفريقيا تتبدل من بلد صحراء لبلد بها البحار والمحيطات؛ وتتحول أوروبا وأمريكا لصحراء، فتجف المحيطات والبحار هناك، ويحاول الناس العيش في مكان ءامن به بعض الطقس المعتدل والماء، فينزحون من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا، ومن سرعة دوران الشمس والأرض تشرق الشمس من المغرب، فترى النهار يدوم لأيام بل لشهور، والليل يدوم لأيام وشهور، ففي هذا الزمان لا توبة ولا رجوع إلى الله، فترى من بقي من الناس لا يعرف حتى من يعبد ولا يهتم بعبادة ولا بربه، ولا بأي شيء سوى ما هو فيه من ضنك وعيش بئيس، فيرفع القرآن من المصاحف ومن صدور الرجال ويرفع العلم، فترى الجهل يرفع رايته ويسود القتل والموت والجوع والمرض والأوبئة القاتلة، ولا تجد على الأرض من يقول : الله.. الله، فترى كل من على الأرض لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، فتتكلم الدواب ويتغير الكون بمجراته وشموسه وأقماره

ونجومه، ليستعد الكون لساعة الصفر وهي القيامة، وبين ليلة وضحاها تنفجر الشمس بما فيها من تفاعلات نووية رهيبة ومدمرة، فتنزل على الأرض وعلى مجموعتها الشمسية فتدمر كل ذلك في دقائق، حتى إنك لتجد الوليد يشيب من هذا المنظر، وتضع كل ذات حمل حملها، ولكنها الواقعة قد وقعت؛ وإسرافيل قد نفخ في صوره، فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، وانهار الكون كله، ومات كل من في السماوات والأرض، حتى جبريل وميكائيل واسرافيل وحتى عزرائيل ملك الموت، ثم نادى الله في الكون الخرب والذي عاد كما كان فالسماوات والأرض دخان وغبار، ولا معالم لهذا كله، فقال:

(لمن الملك اليوم... فيجيب على نفسه :

لله الواحد القهار).

يستيقظ حامد على صوت المنبه ليوقظه لصلاة الفجر، فيستيقظ فزعاً ويسكت المنبه، وينظر حوله، وإذا بالكهرباء كما هي والهاتف يعمل، وكل الحياة كما هي، فلم يتغير أي شيء من الحياة، ولكن ذلك دفع حامد لأن يخاطب العالم كله بالتخلي عن تلك الأسلحة المدمرة والتي تأتي على البشرية

فتفنيها، فبعدما صلى الفجر وعاد للمنزل قرر أن يذهب في الصباح لوزارة الخارجية ليبحث مع كل دول العالم هذا الشأن، ويساعد حامد على ذلك أنه يعمل في سفارة كوريا الشمالية، مما يجعله في موضع يحسد عليه، فجلس حامد مع زوجته وابنته كريمة وقص عليهما ما شاهده في منامه من أهوال وخراب وحروب، فتعجبت كريمة من رؤيته وقالت له وهي تبتسم:

هل كنت تقرأ في أحداث النهاية؟

أم كنت تشاهد فيلماً عن ذلك؟

فقال لها حامد وهو يتثاءب:

لا لم أشاهد ولم أقرأ أي شيء من هذا القبيل؛ فقالت له زوجته كريمة، وهي تقف ذاهبة لغرفتها:

هيا لتنام ساعة قبل سفرك اليوم، فنهض حامد، وقال لها:

أنت محقة، فأنا لم أذق النوم الليلة كما ينبغي.

فذهب حامد لسريره ونام ساعة أو ما يزيد، ثم استيقظ مع شروق الشمس، ليبدل ملابسه ويحضر حقيبته حتى يسافر لعمله هناك، وبعد ساعة يصل المطار ليستقل الطائرة التي

ستسافر إلى كوريا، وفي الطائرة تجلس بجواره باحثة في شئون الحرب لدى كوريا، فترحب بحامد باللغة العربية، فهي قد أمضت سنوات كثيرة في الشرق الأوسط، وشاركت في مباحثات للسلام وما يتعلق بمساوئ الحرب والدمار، فتحدث معها حامد عن مشكلة القنابل النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل فقال لها:

يا سيدة "شونغ هي " كيف السيطرة على تلك الأسلحة التي ستدمر العالم عما قريب؟

فقالت شونغ هي وهي تنظر لحامد:

الحل يكمن في مبادرة تشمل كل العالم بدئاً من أمريكا وكوريا، وروسيا وكل من لديه تلك القنابل المدمرة، فقال حامد وهو يضحك بسخرية:

وكيف لنا أن نقنع تلك الدول بذلك، حتى لو أقنعناهم، كيف نضمن خلو هذه الدول من تلك الأسلحة، ومن أدرانا لو أقلعوا عن ذلك فترة من الزمن أن لا يعودوا لذلك ثانية وثالثة.

فقالت شونغ هي:

لابد أن تكون المبادرة شاملة كل الدول التي بها تلك الأسلحة ويكون هناك من يمثل التفتيش على كل الدول، وتكون منظمة لمحاربة تلك الأسلحة وبها من كل دولة أكثر من مفتش معتمد من الهيئات والمنظمات الدولية، وبهذا نضمن عدم وجود تلك الأسلحة في الحاضر أو المستقبل، فقال حامد وقد أعجب بكلامها:

هذا عظيم وفكرة جميلة، ولكن يبقى علينا البداية لتدمير تلك الأسلحة ومصانعها أولاً.

هزت شونغ هي رأسها وقالت:

أنا وأنت معاً، ومعنا بعض من يهتم بهذا الشأن، وسوف نصل لمرادنا إن شاء الله.

تهبط الطائرة على أرض كوريا، وينزل حامد وشونغ هي من الطائرة ليستقل سيارته الدبلوماسية، ويودع شونغ هي قائلاً لها:

أراك غداً في أي مكان تحددينه أنت، فمعك رقم هاتفي، هيا إلى اللقاء.

يذهب حامد لمحل سكنه، ولكن عقله لا يسكن ولا يهدأ، وما زال يفكر في ما شاهده في منامه، وفي تلك الاقتراحات التي سمعها من شونغ هي، ولا سيما وأن تلك المرأة تمتاز بعقل راجح وفكر مستنير، فوجهها يظهر جمالها وحسن خلقتها، فقد حباها الله جمالاً وعقلاً، فما أجمل من أن يجتمع الحسن والعقل معاً فيخرجا للعالم متعة وألقاً وراحة وسعادة، أما الوجه القبيح مع الغباء والحماقة، فلا يخرج ذلك إلا الشرور والمآسي والدمار؛ يمضي الليل وقد خلد حامد للنوم فلم يستيقظ إلا بعد الفجر لأنه ما شبع من النوم منذ الليلة السالفة، وزاد على ذلك سفره وتفكيره، فسرعان ما أنهى طقوس صباحه من صلاة وإفطار واجتماع بمن معه من أعضاء السفارة، وحدثهم عما يجول بخاطره، فوجد ترحيباً ممن معه، حتى قال له مساعده ويسمى عادل:

وكيف نبدأ بذلك؟

هل سنذهب للرئيس الكوري ونطلب منه ذلك، ولو طلبنا منه ذلك، سيقول:

أنا لن أفعل أي شيء حتى تكف كل الدول أولاً، فماذا نقول له؟

وقال آخر ويسمى مصطفى:

ومن نحن حتى نضغط على رؤساء دول كبيرة أو نتحدث معهم في ذلك؟

فقال حامد واليأس ظهر على عينيه:

أترون أنه لا مناص، وأن نجلس لنشاهد ما يحدث ونحن مكتوفي الأيدي حتى تقع الواقعة ويأتي علينا هذا الخراب المتوقع عما قريب؟

تتصل شونغ هي بالسفير حامد وتقول له:

أين أنت أيها السفير الآن؟

فقال لها:

في السفارة وقد اجتمعت بمن معي لمناقشة ما تحدثنا فيه بالأمس، فقالت شونغ هي:

أنا في الجوار ولو شئت أتيت إليك وشاركتكم ما تبحثونه، فقال لها حامد:

على الرحب والسعة، هيا تعالي؛ تغلق شونغ هي معه الهاتف وتأتي بعد مرور عشر دقائق، فيقرع الباب الحاجب، ويقول:

يا سيدي في الخارج سيدة، وقبل أن يتم الحاجب كلامه قاطعه حامد وقال له:

أدخلها فوراً، فتدخل شونغ هي وقد رحبت بالجميع ثم جلست، وسمعت أطروحات معاوني حامد ومساعديه، وقد ظهر اليأس على حامد، ولكن شونغ هي قالت لهم:

نحن لسنا وحدنا، ولكننا مجموعة من كل الدول تحمل نفس المبادرة ونفس الهم، ومعنا في وزارات الخارجية وحقوق الإنسان ومنظمات أخرى معنية بهذا الشأن وسوف نتحرك كلنا في وقت واحد للضغط على كل الدول للموافقة على تلك المبادرة، ولسوف نجد استحساناً من كل الناس والهيئات والمنظمات.

ابتسم حامد وعاد لوجه الأمل والبسمة، وعاد للحوار فقال:

سنبدأ من هنا من كوريا مع رئيسنا هنا ونرى ونسمع منه وجهة نظره، ورأيه في تلك المبادرة العظيمة.

أعجب الجميع بكلام شونغ هي، وقالوا على بركة الله.

يستأذن حامد ممن معه في الخروج مع شونغ هي، فيخرجا نحو شارع مشهور هناك، فتقول له شونغ هي هذا منزلي إن

أردت أن تشرفني في زيارتي ونشرب نخب هذا اللقاء، فيوافق حامد على ذلك، وبينما هما في طريقهما للداخل يحاول حامد أن يتذكر أين رأى شونغ هي من قبل، وبينما هما عند الباب تذكر تلك المرأة التي كانت في المنام وتمتطي جوادها وتستأذن المهدي في الانضمام لجيشه، فتعجب حامد من هذا الشبه الشديد بينها وبين شونغ هي؛ فتحت شونغ هي الباب ودخلت وما زال حامد ينظر لما على الجدار من رسومات، فقالت له شونغ هي:

تفضل سيد حامد، فنظر لها حامد وقال:

وهو كذلك، سأدخل، فيدخلا معاً للداخل، وتضئ شونغ هي الأنوار، ويجلسا معاً في غرفة الجلوس، وإذا بها مكتبة كبيرة بها عشرات الكتب المختلفة، فوقف حامد أثناء ذهابها لعمل بعض القهوة لهما، فوقعت عيناه على كتاب "لويرديوارنت" ما يسمى بقصة الحضارة، فوقفت بجانبه شونغ هي، وقالت له:

إنه قصة الحضارة، فكم أحب هذا الكتاب، فقد تكلم عن كل الحضارات وكان منصفاً في كتابه، فقال لها حامد وهو يبتسم:

وانا كذلك أحبه، فقد قرأته وعمري في السابعة عشر، وأعجبت به إعجاباً شديداً خاصة لما تكلم عن الحضارة الإسلامية وسمى هذا الجزء من كتابه بعصر الإيمان، وتكلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل عدل وانصاف وحيادية للحق، فقالت شونغ هي :

هيا نجلس حتى نتناول هذا الشراب، فجلسا معاً، وتناولا شرابهما، وأخذت شونغ هي تسأله عن حياته الشخصية، وعن زوجته وأولاده، فأجابها ولكنها إجابة سطحية، ثم تحدثت عن نفسها وعن زوجها الذي انفصل عنها، وأنها لم تنجب منه سوى هذا الولد الذي أخذه لما بلغ الحلم، وأصبحت وحيدة لا تفكر إلا في المشاكل الكبيرة مثل ما أسارته معه، وبعد ساعة أو ما يزيد عن ساعة، يستأذن حامد في الذهاب لممارسة عمله كسفير، والإعداد لما ينونه ويخططونه.

فذهب حامد لزوجته الثانية الموجودة معه في كوريا، وهي من هذه البلد ومن أصلها، وقد تعرف عليها منذ أن قدم إلى هنا، وقد لفت انتباهه جمالها وصورتها الخلابة ولون عينيها السوداوين، وشفتيها الجميلتين، وعذوبة صوتها الذي يشد القلب لحسن حديثها إذا تحدثت، فهذا الوصف المتألق لفت

نظر حامد لها، وأعجب خاصة بثقافتها ، وحسن اطلاعها على أحداث الواقع وما به من متغيرات جذرية تؤثر على العالم سلباً وإيجاباً، فعانق فكرها، وأحب سمتها، وما تحويه من شخصية جذابة لها كل الود والاحترام من الجميع، ولا سيما وأنها تعمل في مكان اجتماعي، فهي مسؤولة في وزارة التجارة والاستثمار، فتزوجها حامد وأنجب منها فاطمة وكريم، وقد اعتنقت الإسلام عن رغبة وحب، بل ودافعت عن مبادئه وقيمه في المحافل الدولية والمحلية، ولا تستعجب من ذلك، فتلك المجتمعات يجدون الحرية في التعبير وبالكلمة دون منع أو كبت للحريات، ولكن دون فوضة، أو تهكم وقذف وتجريح لأولي الأمر، أو الأشخاص، أو الدين والفكر والمعتقد، فهم ليسوا مثلنا، إذا تركت لنا الحرية، رفعنا السلاح وقطعنا الطريق، وعطلنا المصالح، وتركنا الفوضة تمضي وتعم دون وازع لها، أو مروض لأخلاق الناس، مع أننا على الإسلام، ولكننا أصبحنا برابرة، وسوقة ورعاع، عندما ضيعنا الأخلاق، وصار العالم كله خلقه الإسلام والقرآن مع أنهم ليسوا مسلمين، فالخيل العربي الأصيل تعرف بكرامتها، أما ما سواها، فتنعدم منها الكرامة، حتى خيلنا

صارت لغيرنا، فلا يحق لتلك الجبال الشامخة أن تنحني لثمة إعصار صغير يقطع شجيرات لا أصل لها، ولا جذور، فالبحر الاسود ما كان يوماً من أفريقيا، حتى نسميه بهذا الاسم ولكنها العنصرية التي تستمر طوال الوقت لها صوت التميز واحتقار اللون القاتم، أو الحزين، حتى أبطال الأفلام والمسلسلات لابد أن يكونوا على جمال وحسن، ويمتازوا باللون الأبيض، أما سواهم، فيأتون كاللصوص، والقتلة وبين أزقة التسول وغير ذلك من المواضع الرخيصة والمقيتة، أنا لا أختلف مع أحد أن الجمال والحسن والنظافة واللون الفاتح يجذب كل إنسان ويجعلك تحب ملامسته والدنو منه بل والعيش معه، فلو كنت في سيارة ميكروباص وتجلس على كرسي وجاءت تجلس بجانبك فتاة جميلة أو حتى أحد الرجال ولكن سمته ولبسه حسن، سترحب بجلوسها أو جلوسه، أما تلكم المرأة، أو هذا الرجل الذي أو التي بهما ما تعفه النفس من رائحة أو سمت أو لون قمئ، فلن ترحب به ولا سيما لو كان وزنه كبير، ويتصبب عرقاً مع لونه وسمته، فتجلس وتتمنى أن تهبط السيارة في دقيقة أو أقل لحيث تريد، ولكني أعجب من أن الله جعلنا هكذا منا الأسود والأبيض، فهل لو

خلقنا على شاكلة حسنة وبيضاء كلنا ماذا كان سيحدث، أم هناك من يحب الأسود واللون الأقل منه، ولكنها مشيئة الله سبحانه وتعالى.

الفصل التاسع

يقضي حامد ليلته مع زوجته التي غير لها اسمها من تشن لي، إلى مروة، وتظل مروة معه لساعات يقص عليها حامد ما شاهده في منامه، وكيف هو يسعى في حل لتلك المشكلة التي تؤرق نومه، وتجعله منذ تلك الليلة يفكر في حل لها، ولكن مروة قالت له:

يا حامد: ألا ترى أنك تقحم نفسك في مأزق سياسي قد يحرجك، وقد يطيح بك في الهاوية؟

فقال لها حامد:

بل إني أرى كل خير وأثق أننا بفضل الله سنصل لحل عما قريب، فقالت له مروة وهي تتناول رشفات من كوبها الذي لم تفرغ منه منذ نصف ساعة:

كما يحلو لك، ولكني أقول لك ما أراه، فقال لها حامد وقد بدا عليه الغضب:

أنا سأنام، هيا تصبحي على خير، وفي الصباح ذهب حامد للسفارة، واجتمع بمن معه، وقد حضرت أيضاً شونغ هي، فقال حامد وهو ينظر لهم في حدة:

سنذهب بعد ساعة لرئيس كوريا، وقد بعثت لهم من يخبرهم بذهابنا، فقال له الجميع لك ما تشاء يا سيدي، فيتأهب الجميع لهذه الزيارة، وبعد ساعة يذهب السفير حامد بموكبه نحو قصر الرئيس الكوري كيم والذي كان في انتظاره، فيدخل حامد ومن معه، فيصافح الرئيس الكوري كيم، وتصافحه شونغ هي، ثم جلسوا معاً وأخذ الرئيس الكوري كيم يرحب بهما، ثم بدأ حامد الحوار وقال:

سيدي الرئيس : لقد تبنينا أنا وشونغ هي ومعنا العديد من الأشخاص حول العالم، ومن شتى البلاد، قضية الأسلحة المدمرة في كل العالم، وأخذنا على عاتقنا أن ننهي ما يهدد البشرية بالخراب والدمار، ثم أعقبت شونغ هي قائلة:

ونحن كلنا يعلم حبكم في سيادة العدل، ولكنكم تأخذون بأسباب القوة لكي لا يطمع فيكم طامع، أو يتجرأ عليكم باغي، فهل يا سيدي توافق على أن يكون العالم كله دون أسلحة الدمار الشامل هذه التي انتشرت في كل العالم؟

فقال الرئيس الكوري كيم:

أنا معكم أن خطورة تلك الأسلحة تقلق وتؤرق العالم كله، ولا سيما ما صنعناه من صواريخ كهرومغناطيسية، حتى صارت كل الدول الكبرى تملكها، مما يشكل الخطر البالغ على كل شعوبنا، ولكنني لن أبدأ أولاً بذلك قبل أن يبدئون هم، فقال حامد وهو يبتسم:

يا سيدي :لقد نظمنا هذه المبادرة على أن يكون هناك من يفتش في كل البلاد على تلك الأسلحة ويقوم بتعطيلها وتدميرها، وسوف ننسق ذلك مع أتباعنا على مستوى العالم، فمن بيننا السياسي والاقتصادي وأصحاب الكلمة العليا في المنظمات الدولية والهيئات العالمية، فقال الرئيس الكوري كيم وهو يمسك قبضة مقعده:

وأنا معكم، ولو وجدت أن هناك مصداقية وأنه سيشترك في هذا عدة أشخاص من كل بلد، فسأكون أول من يدمر ويعطل تلك الصواريخ، فقالت شونغ هي وهي تبتسم ابتسامة النمر:

اعلم يا سيدي أنه سيكون بعد ذلك من يقومون بالتفتيش على طول الوقت من أجل الاطمئنان على خلو البلد من تلك الأسلحة، فقال كيم:

أعلم ذلك، وسأكون عند حسن ظن الجميع، وسأثبت للعالم كله أني أحب السلام، ولا أبغي الحرب والدمار والخراب، كما يفعل غيرنا من احتلال للدول وأخذ ثروات الدول الضعيفة بحجة محاربة الإرهاب، وأن لديهم أسلحة محرمة.

انتهى اللقاء المثمر بين حامد وشونغ هي والرئيس كيم، وذهب حامد ومعه شونغ لي ومساعديه نحو السفارة، لتظهر السعادة على وجوه الجميع بعدما وجدوا التفاهم من الرئيس الكوري كيم، وأبدى حامد فرحته قائلاً:

ها نحن ذا قد بدأنا أول الطريق، ولكن يبقى علينا الكثير من الجهد الكبير، فباقي الدول الكبيرة مثل أمريكا وروسيا وغيرهما من الصعب جعلهم يتخلون عن تلك الأسلحة بسهولة، فقالت شونغ هي وهي تنظر لحامد:

لا تقلق يا سيد حامد فمعنا من هو أحرص منا على هذه المبادرة، فقال لها حامد:

على كل حال، سنفعل ما في وسعنا، والله غالب على أمره.

الأيام تكشف قدر الله، فكل شيء خلقه الله بقدر، وقد قدر كل شيء قبل خلق السماوات والأرض حتى لا يقلق أي أحد على رزقه أو ما سيحدث في الكون، فكما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(أول ما خلق الله خلق القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير العباد؛ أعمالهم وآجالهم، وأرزاقهم، وشقيهم، وسعيدهم، فوالذي نفسي بيده؛ إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى إذا ما كان بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى إذا ما كان بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)

والله سبحانه وتعالى قد كتب أيضاً أقدار الدنيا كلها، من أول ساعة اكتملت فيها إلى أن تقوم القيامة، فلا حسرة ولا ندامة على ما فات، ولكنها ثمة محاولات، وما نحاوله، وما نسعاه أيضاً من القدر، فهذا القدر ما هو إلا سيناريوا قد كتبه الله لعلمه الأزلي بما سيحدث في السماوات والأرض، فالله بعلمه الكبير وببصره النافذ، علم ما كان وما سيكون، وما هو كائن

إلى يوم القيامة، فهو يعلم ما في الصدور، ويعلم الغيب وما سيفعل بعد ألف عام وأكثر من ذلك بكثير، وقد كتب ذلك في لوحه المحفوظ، حتى إنك لتجد جاهلاً يقول :

ما دام أن الله قد كتب عملي ومصيري وما أجزاه من جنة أو نار، فلماذا أعمل وأجتهد وأعبد إذن؟

ولا يعلم هذا الجاهل أن الله لم يجبره على فعل المعاصي ولا الطاعة ولا على الكفر أو الإيمان، بل ترك له الاختيار بين هذا وذاك، فقد قال الله سبحانه وتعالى :

(وهديناه النجدين إما شاكراً، وإما كفوراً)؛ وقال أيضاً :

(ونفس وما سواها، فألهمها فجورها، وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها)

ولكن الله علم بعلمه الأزلي أن هذا العبد الشقي، سيختار الكفر، أو المعصية على ما سواها، أو أن هذا الآخر سيختار الإيمان أو الطاعة على غيرها، فكتب لهذا النار، ولهذا الجنة قبل أن يخلقا، ومن العجيب أنك ترى هذا الشقي يظهر عليه شقائه في كل حياته، فتراه وهو في طفولته، يؤذي أقرانه من الأطفال، وبعدما يشب، تجده مبغوضاً، ويبغض من حوله،

وتراه عاقاً لوالديه، ولا أحد يحبه، وإذا ما صار رجلاً، كان لعنة على من حوله من زوجة وأولاد وجيران وزملاء في العمل، أو لو اختار الكفر مع وجود الإيمان كالشمس في السماء، فهو بذلك يكون أعمى القلب والبصيرة، ولو عمل أمام الناس الخير من عمل دنيويٍ، أو مساعدة الفقراء وبعض الناس والحيوان، حتى لو ظهر عليه الرفق والرحمة، ولكنه أخطأ في حق نفسه وربه باختياره الكفر على الإيمان.

يخرج حامد مع شونغ هي، ويذهبا إلى بيتها مرة ثانية، وهي تمسك بيده قبل ولوجهما المنزل، وقد فضحتها تلك البسمة المرسومة على شفتيها، وعلى عينيها التي تكاد تنطق ببعض الكلمات، ففتحت الباب ودخلت هي، ثم دخل حامد خلفها، وجلس حامد في مكانه الذي جلس فيه المرة السابقة، ولكن شونغ هي تركته بحجة احضارها بعض الشراب، وبعد دقائق أتت وهي تحمل بعض الكؤوس، وبعض الشراب، وترتدي ملابس شفافة حمراء مما جعلها تتلألأ كأنها لؤلؤة وردية تسبح في الفضاء القريب، وقد فاحت منها رائحة طيبة، جعلته ينظر إليها، بشغف، فقد خطفت لبه، وقلبه، فجلست بجواره

وسكبت في الكؤوس الشراب وأعطت لحامد كأساً، فقال لها حامد وهو يتجه بجسدها نحوه:

لماذا أتعبت نفسك هكذا؟

فقالت شونغ هي:

أنا لم أفعل شيئاً، ولكنني أردت أن نحتفل بما حققناه من خطوة أولى نحو طريق السلام.

نظرت شونغ هي لحامد وقد وضع الكأس بجواره ولم يتناوله، فقالت له:

ألا تشرب الخمر؟

فقال لها حامد وهو يبتسم:

لا أنا لا أشرب الخمر، لأنه قد حرمه الله علينا نحن المسلمين، فرفعت شونغ هي حاجبها وحركت شفتها وقالت:

سأحضر لك غيره، أنا لم أكن أعرف ذلك، فأنا اعتدت على أن كل الناس تشرب دون مبالاة، فقال لها حامد:

بل هي المبادئ والقيم التي لا تتزعزع، ولا تتغير بتغيير المكان أو الزمان، فرفعت شونغ هي الكؤوس، وعادت

لتجلس بجواره، وهي تضع رأسها على صدره، فأراد حامد أن يمنعها من ذلك، ولكنه خاف على مشاعرها، فأمسك جوارحه، ولم يمنعها حتى جذبته من عنقه لتقبله وتعانقه، ولكن حامد سرعان ما وقف بلطف دون أن يشعرها بشيء، وقال لها وهو يبتسم:

لقد تأخرت، سأذهب الآن، ولكن شونغ هي بذكائها اللامع فهمت ما حدث، فقالت له:

أنت لا تبغي علاقة محرمة، لقد فهمت أنك متقيد بتعاليم الإسلام وتريد العلاقة الزوجية، وليس سواها، فقال لها حامد:

لا عليك، فعلاقتنا علاقة صداقة وإخاء، فقالت شونغ هي:

ولكني أحببتك يا حامد، ولا أتصور حياتي بغيرك، فقال لها حامد:

وأنا كذاك منذ أن رأيتك وانا معجب بك، ولكن هناك الحل الذي يجمعنا وهو الزواج، فقالت شونغ هي وهي تبتسم:

وأنا موافقة على ذلك، فقال لها حامد وهو ينظر في عينيها:

ولكن هل تقبلين أن تعتنقي الإسلام؟

فقالت شونغ هي:

أنا بعدما رأيت منك هذه الأخلاق، وتلك المبادئ والقيم لا أتردد في ذلك طرفة عين، فلي الشرف في ذلك، ومن دواعي سروري أن أكون مسلمة وتكون أنت زوجي، فقال لها حامد:

وقبل كل شيء أنا متزوج بامرأة كورية وأخرى مصرية، فهل توافقين أن تربطي نفسك برجل مثلي، ومعه زوجتان؟

فضحكت شونغ هي وقالت:

هل تريد إخافتي يا حامد منك، أماذا تعني بذلك؟

فقال لها حامد:

أنا أردت أن أعرفك كل شيء عني قبل أن تربطين بي، فقالت شونغ هي وهي تبتسم :

أنا موافقة على كل شيء، فماذا علي الآن فعله حتى نتم ذلك؟

فقال لها حامد:

أولاً نذهب للسفارة عندنا ونأتي بمسؤول الدين كي تعلنين اسلامك ثم نتزوج بعدها مباشرة، فقالت له شونغ هي:

هيا بنا، ولكن هل زوجتك هذه أو تلك لن يتضايقا من هذا؟

فقال لها حامد:

لا عليك، فهما متفاهمتان، ويعلمان أن ذلك من الأفعال الحسنة في الإسلام، وما دمت سأعدل بينكم فلا ضير، وأنا أنوي أن أحضر زوجتي التي في مصر هنا حتى أقسم عليكم الوقت مناصفة، فقالت شونغ هي:

لك ذلك، فأنا لا أعترض إطلاقاً على ذلك، فأنا متفهمة لما تقول، فقد درست دين الإسلام بما فيه الكفاية، وجعلت رسالتي التي أخذت بها الدكتوراه في مقارنة الأديان، ولقد علمت أن هذا الدين كفل كل الحقوق لكل الأفراد في المجتمع، وحقق للجميع كل الواجبات وسبل الأمان، فأنا إن اخترته، فأختاره على علم، ويقين بما يحتويه هذا الدين من قيم ومثل وثوابت.

فقال لها حامد وهو يبتسم:

أنا فرح بما تقولينه من كلام لم أكن أتوقعه منك، فقد أثلجتي صدري بكلامك هذا، فأنا إذن سأتزوج امرأة على علم بديننا وتعلم أصوله وثوابته ، فيا لي من محظوظ

فقالت شونغ هي وهي باسمة الثغر:

يا حامد أنت قابلتني في الطائرة أثناء عودتي من مصر أي انا كنت في بلد عربي، وهي بلدكم، وهذا يعني أني أهتم بهذا الشأن، ولم بخطر ببالك أن تسألني، أو لم تحن الفرصة أن تسألني لماذا كنت في مصر، فقال لها حامد مسرعاً:

لا، ولكني اعتقدت أنك كنت في مهمة سياسية كما علمت أنك مهتمة بهذا الشأن كما تحدثنا سوياً، وعرفنا بعضاً على هذا الأساس، فقالت شونغ هي:

لا عليك، ولكني سعيدة بمعرفتك، ولن أندم على اعتناقي الإسلام لمعرفتي به عن قرب، وبما فيه، وليس بالأشخاص الذين علي هذا الدين، بالأشخاص تتغير وتتبدل أخلاقهم وتنعوج سلوكهم، فقال لها حامد:

إذن هيا لا نضيع وقتنا سدى، فأمامنا غير الزواج ما نهتم به من مستقبل العالم، وما جعلنا وقتنا وجهدنا لأجله.

الفصل العاشر

ذهب حامد ومعه شونغ هي إلى السفارة، واستدعى من يكتب كتابهما والمسؤول عن إشهار إسلامها، وبعد عدة دقائق يأتي هذا المسؤول الديني الذي يتولى كل ذلك من إشهار إسلامها وكتابة كتابهما، ويعلم الجميع بما تم من زواج ولا سيما زوجته الأخرى الكورية، فأتت ولكنها ليست كنساء مصر، فهي متفهمة الأمر وتعلم أن هذا ما هو شرع الله، وقد أحله الله سبحانه وتعالى وأباحه، فلا خيار أمام شرع الله ما دام لا يغضب الله سبحانه وتعالى، ويتزوج حامد بها ويقضي عدة أيام معها، في متعة بعقلها المتفتح، وما بها من علم وذكاء قد ظهر عليها في حديثها، فهي ملمة بأشياء كثيرة ولا سيما ما يخص الدين الإسلامي وما به من أصول وثوابت، وبعد أسابيع من الزواج يذهبا مع من تبنوا فكرة نزع أسلحة الدمار الشامل في كل العالم لأمريكا أولاً، واصطحب حامد معه مساعديه وزوجته شونغ هي إلى هناك وكان في انتظارهما كل من سيشاركهم في هذا الذي ينونه من عمل عظيم وبناء مثمر، فأصحاب الهمم لا يعرفون النوم ولا الراحة حتى الموت

لأنهم يسعون دوماً إلى العلا وإلى أسمى الأشياء، أما النفوس الضعيفة فمكانها تحت التراب وفى الحضيض وبين الأموات وركام الجيف والأشلاء، فالأسد لا يرضى بالحشرات ولا بأنصاف الفرائس، أما الكلاب فترضى بالروث والعظام.

ما يسعى له حامد شيءٌ محال ولكنه ليس من الصعب على أصحاب الهمم الكبيرة أن يخلعوا الجبال من أماكنها لو أرادوا ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام فعلوا ما كان يصعب على غيرهم ومن كانوا قبلهم من العرب وغيرهم ممن ذاقوا الذل على يد الفرس والروم ، فقد هدموا في سنوات قليلة لا تقاس بعمر البشر مملكة الفرس والروم، وهدموا قلاع وحضارة كبيرة شيدها الروم والفرس على مدار السنين، فعبروا البحار وصعدوا الجبال وواجهوا الأسود والفيلة وفحول الرجال، فما عرقلتهم كثرة ولا أقعستهم قوة، ولم ترهبهم سطوة، بل كانوا مثل السيل الجارف الذي يخشى من حصن ولا سد، أو كالإعصار الذي يسير في سرعة قوية فيجرف ما أمامه من ورق وشجر وما كان هشاً أو سهلاً أو ضعيفاً.

يتوجه حامد ومن معه من وسطاء للسلام وعددهم أكثر من عشرين فرداً ما بين رجل وامرأة إلى أمريكا ومن ثم إلى روسيا وغيرها من البلاد الأوربية والأسيوية، ولكنهم فوجئوا بالمماطلة والتسويف، مما جعلهم يحبطون ويملون، فقد حاولوا لأكثر من عام كامل مع كل الدول، ولكن دون فائدة تذكر، بل إن أمريكا وحلفائها فرضوا عقوبات على كوريا الشمالية، وأخذوا يتدخلون في شؤونها مما دفع كوريا بالرد على ذلك بتوجيه صواريخها نحو بلادهم ودارت رحى الحرب بين آسيا وأوروبا بكل سلاح مدمر وفتاك وفي غضون شهر صار العالم كله إلى خراب ودمار ليبقى بلا حضارة أو كهرباء أو تكنولوجيا وينظر حامد وهو في عرض البحر وقد ركب سفينة شراعية لبلده إلى ما آلت إليه الأوضاع، ويقول لنفسه:

ها قد بدأ ما شاهدته أثناء نومك يا حامد.

النـهايـة